نخب البادية وأعيان جهة سليانة في تونس

القرن التاسع عشر

بقلم : عبد الجليل الميساوي

مدخل

أرى من الضروري أن أفتتح هذا البحث بالإشارة إلى حقيقتين مهمتين قد يفقد البحث قيمته ومبرّراته أصلا لو أغفلتهما وتجاوزتهما :

1- الحقيقة الأولى : أنّ البادية لم تكن موضع اهتمام المؤرّخين العرب قبل أحمد بن أبي الضياف، فقد كان التاريخ العربي القديم تاريخ مدن وملوك، يهتم بسير الأمراء والقادة والوزراء، والعلماء الكبار والأدباء البارزين، ويروي أخبار الدّول وحروبها وانتصاراتها وهزائمها، وقيامها وسقوطها.

أمّا البادية فهي في نظر المؤرّخ العربي القديم ليست أكثر من ضيعة للإنتاج الفلاحي، وحضيرة لتربية الماشية تمدّ المدينة بالغذاء وبالمادّة الخام الّتي تحتاجها لتنشيط صناعاتها، إلى جانب كونها سوقا يصدّر إليها أهل المدينة فوائض إنتاجهم الصّناعي ويروّجون بواسطتها سلعهم التجاريّة.

ومن ثمّ فلا أهمّيّة عنده لأخبار البادية وأهلها إلاّ في سياق الحديث عن أخبار ملك أو قائد أو معركة حربيّة، وكأنّ سكّان البوادي والأرياف لا دور لهم في صنع التّاريخ ولا علاقة لهم بأحداثه وتقلّباته.

2- الحقيقة الثانيّة : أنّ الحديث عن نخب البادية وأعيان جهة سليانة لا يستقيم إلاّ إذا تجاوزنا به الحدود الإداريّة الحاليّة الّتي رسمها التقسيم الإداري للجمهوريّة التونسيّة خلال الثّلث الأخير من القرن العشرين، والّذي ضبط لها حدودا ترابيّة واضحة معلومة.

الموقع والحدود

لم يكن التقسيم الإداري خلال الحقبة التّاريخيّة موضوع بحثنا يعتمد الحدود التّرابيّة للفصل بين المجموعات السّكّانيّة،

وإنّما كان يكتفي- وخاصّة في البادية- بحدود بشريّة قائمة على الانتماءات القبليّة المرتبطة بمناطق ذات حدود رجراجة تتّسع تارة وتضيق أخرى بسبب الكرّ والفرّ المتواصلين عادة بين القبائل من مساحات واسعة فارغة وغير آهلة بالسكّان هي أشبه ما تكون بالمناطق المزروعة السّلاح بين الأحوار من الدّول المتعاديّة اليوم، يضاف إلى ذلك غلبة سكنى الخيام وقابليّة الانتقال بسرعة من مكان إلى آخر.

هذه العوامل وغيرها فرضت وضعا عمرانيّا يتميّز بغياب المدن والقرى والتجمّعات السّكنيّة ذات الأهمّيّة الاقتصاديّة أو الثّقافيّة على طول المنطقة موضوع بحثنا وما يجاورها من السّهول والجبال.

يشهد بذلك ما نقله الوزير السرّاج في كتابه "الحلل لسندسة في الأخبار التونسيّة" عن ابن الشبّاط عن البكري محدّدا موقع مدينة "الأربس" قال : "بينها وبين القيروان ثلاثة أيّام" فهو قول يكاد يصرّح بنفي وجود مدن أو محطّات ذات أهمّيّة يعرفها النّاس ويمكّنهم اعتمادها في تحديد المواقع على طول المسافة الفاصلة بين الأربس والقيروان، وإنّ ما نراه اليوم من المدن الآهلة في هذه الجهة إنّما هي في جلّها وليدة أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين باستثناء بعض الزّوايا مثل زاويّة سيدي حمادة، وزاويّة سيدي مرشد، وزاويّة سيدي بوبكّر...الخ.

و باستثناء بعض التجمّعات السكنيّة المحصنة القائمة على رؤوس المرتفعات الوعرة مثل كسرى، ومكثر، والزريبة (1) وما شاكلها من القرى الجبليّة ذات المسالك الصّعبة الّتي دأب السكّان الأصليون على الاعتصام بها للهروب من حباة الضّرائب والأداءات، أو للاحتماء من الهجمات المفاجئة الّتي تقوم بها القبائل المعاديّة وقطّاع الطّرق، وعلى الخصوص خلال القرون السّبعة أو الثّمانيّة الّتي عقبت زحف قبائل بني هلال على البلاد التونسيّة، فقد تقاسموا السّهول والمنبسطات لينحصر أبناء البلاد الأصليون في المناطق الجبليّة أزمنة طوالا أفضت إلى شيء من التقارب والتآلف إلى حدّ تحقق معه بعض الاندماج. بحيث كانت التوزيعة السّكّانيّة بالجهة موضوع البحث والجهات المجاورة حتّى نهايات القرن الثامن عشر تقريبا على النّحو التّالي :

– استقرّت قبيلة " أولاد سعيد" الكبرى ومن والاها من القبائل والعروش المنضمّة إليها والدّاخلة في حمايتها على طول السّهول الممتدّة شرق القيروان إلى مشارف بوفيشة والحمّامات، لينحصر السكّان الأصليون في القرى الجبليّة من "تكرونة" إلى "حرادو" إلى "حبل وسلات" وما شاكلها من الناطق الجبليّة والمواقع الحصينة.

– واختصّت عروش "حلاص" بالسّهول الممتدّة غرب القيروان من حدود "قمّودة" وسيدي علي بن نصر الله وسيدي عمر بوحجلة إلى "العلا" و"حفوز" حتى مشارف كسرى والوسلاتية.

– وكانت سهول الفحص وبوعبادة، وقبلاّط إلى مشارف مجاز الباب من مصيب عروش قبيلة رباح، وآلت سهول باجة وما حولها إلى قبيلة دريد الكبرى. وكانت السّهول الممتدّة بين وادي ملاّق والكاف، وسلسلة جبال الظّهر التونسي بحوزة عروش "ورغة" و"وتيفة"، يحاذيهم من الجنوب عروش ماجر والفراشيش إلى السباسب العليا وسهول قمّودة الّتي تمثّل المنطقة الفاصلة بين الفراشيش والحمامة.

هكذا تنحصر الجهة موضوع بحثنا بين السّلاسل الجبليّة الممتدّة ما بين مكثر وكسرى، وبرقو، وبين مرتفعات العروسة وترسق. وقد اشتهر من عروشها وقبائلها : "أولاد عون" و"أولاد عيّار" و"أولاد بوبكّر" وعن كلّ واحدة من هذه القبائل الثلاث تفرّعت عروش كثيرة، كما يبدو أنّه قد اندمجت فيها بعض المجموعات المتفرّعة عن قبيلتي رباح ودريد، ومجموعات أخرى نازحة من مناطق نائية، يشهد بذلك ارتفاع نسبة تواجد ألقاب الجويني- الزغلامي- الحمّامي- القرشيشي- الوستي...الخ

وقد تضافرت إشارات كثيرة تؤكّد تداخل جهة سليانة بحدودها اليوم مع مناطق أخرى لا يشملها التقسيم الإداري الحالي. من ذلك التداخل بين منطقتي الكريب وترسق، فكلّ الأخبار الّتي تحدّثت عن زاوية بوبكر، الّتي ينتمي إليها محمّد المسعودي ومحمّد بو كاف وحسن بو كاف ومحمّد الباجي المسعودي حدّدت موقعها بالقرب من "ترسق" فقد قال ابن أبي الضياف في ترجمة محمّد المسعودي (والد الباجي المسعودي) : "من أحفاد الشيخ الصالح سيدي بوبكّر

صاحب القبّة في تراب ترمس"، وقال في ترجمة حسن بوكاف : "من أولاد الشيخ بوبكّر الشّهير الزاوية بجهة ترمس" ولكنّنا نجده يقول في نفس الوقت في ترجمة محمّد بوكاف "زاويّة بوبكر الواقعة قرب الكريب"

حضور البادية في تاريخ تونس

ممّا تقدّم يتّضح لنا أمران مهمّان : أوّلهما أنّ جهة سليانة الّتي نتحدّث عنها في هذا البحث ليست هي بالتحديد الجهة الإداريّة ذات الحدود التّرابيّة المعروفة اليوم، وإن كانت لا تختلف عنها كثيرا، وقد أصاب التّقسيم الإداري الجديد في الاقتراب من إرجاع الأمور إلى نصابها عندما أحدث ولاية سليانة واحتزها من ولايتي الكاف وباجة.

وثانيهما أنّ المنطقة موضوع بحثنا لم تكن من المراكز الثّقافيّة أو الاقتصاديّة ذات النّشاط والحيويّة بما في ذلك أنشط زواياها وهي زاويّة سيدي حمادة، إذ لم تكن من المعابر والبوّابات النّشيطة الّتي يمرّ بها المسافرون، ولا من المحطّات الّتي يؤمّها القصّاد وطالبوا المنافع الأدبيّة أو التّجاريّة. وإنّما كانت مجالا لنشاط فلاحي متجانس، يقوم على الزّراعة وتربية الماشيّة.

أمّا ما عرفته من حيويّة وما بدأت تشهده من نقلة نوعيّة فهو يعود إلى عصر الدّولة الحسينيّة : إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التّاسع عشر. أمّا قبل ذلك فقد كانت مراكز النّشاط الثّقافي الدّاخليّة موزّعة على النّحو التّالي : باجة- الكاف- القيروان- قفصة- توزر- نفطة، إلى جانب تونس والمدن السّاحليّة الممتدّة من حربة إلى بنزرت وفي هذه المراكز يوجد نشاط تعليمي متواصل بشكل ما، وتوجد خطط إداريّة وشرعيّة ذات صبغة رسميّة، وتوجد عائلات عريقة يتوارث أفرادها الوجاهة والزّعامة. والخطط الإداريّة والشّرعيّة. أو الإشعاع العلمي الأدبي. أو يتوارثون الولاية والصلاح الدّيني والقيادة الصوفيّة والزعامة الطرقية الدّينيّة.

لذلك فسوف لن نتحدّث في هذا البحث عن الّتي عرفتها المدن التّونسيّة أو الّتي تخرّجت من هذه المراكز والمحطّات العلميّة والثّقافيّة.

ولا عن الّذين ورثوا المجد العلمي أو الدّيني، أو الإداري عن آبائهم وأجدادهم وإنّما سوف نحصر بحثنا في الحديث عن النخب الّتي نبعت من عمق الباديّة باعتبار

أفرادها أناسا عصاميين من النوابغ وذوي الطموحات العالية غادروا نواحيهم وفارقوا عروشهم وأهاليهم ليبنوا لأنفسهم مستقبلا لم يكن لأحد من آبائهم من قبل، وليغيّروا ما بأنفسهم، ويسهموا في تغيير أحوال أقوامهم. ولتكون لبعضهم مشاركة واضحة في صنع تاريخ تونس الثقافي مثلما هو الحال مع ابن عرفة. ومحمّد بن خلْفة الآبي، وأحمد التليلي، وصالح بن عبد الجبّار الفرشيشي وأحمد بن أبي الضياف، ومحمّد الباجي المسعودي وغيرهم كثير وكثير جدّا ولا شكّ أنّ مثل هؤلاء العصاميين النوابغ كانوا موجودين في كلّ عصر وفي مختلف الحقب التاريخيّة، وفي جميع جهات البلاد التونسيّة، وقد يكون من المفيد أن نستعرض أسماء جملة منهم متباينة الأعصر والأماكن بأتي على رأسهم على سبيل المثال وليس الحصر :

1- أبو جعفر الأربسي ولد بمنطقة الأربس أقرب المدن التاريخيّة إلى مدينة مكثر، وموقعها اليوم بين مدينة السرس ومدينة الكاف والدهماني، ارتحل إلى القيروان وأخذ عن أعلامها ثمّ انتقل إلى سوسة مرابطا وشارك في غزوات الأغالبة لجزيرة "سردانيّة" توفّيَ بها سنة 934 م

2- أبو جعفر القمّودي ولد بسهل قمّودة، وبين أهلها نشأ، وبكتاتيبها تعلّم القرآن، ثمّ انتقل إلى المرابطة بقصر زياد قرب حنيانة، ثمّ انتقل إلى قصر الطوب قرب سوسة توفّيَ سنة 935 م ودفن بسوسة إلى جوار أبي صديقه أبي جعفر الأربسي

3- أبو بكر القمّودي، أصله من قمّودة ارتحل إلى القيروان وتعلّم بها وعاش فيها، وكان مجادلا عنيدا تغلب عليه النزعة الفلسفيّة والفكر الاعتزالي، نقل ولاءه إلى الدّولة الفاطميّة بعد سقوط الدّولة الأغلبيّة واعتنق المذهب الشّيعي وولاّه عبيد الله المهدي رئاسة "دار الضرب" أو "دار السكة"، هو من أبناء القرن العاشر ميلادي لا نعرف بالتّحديد تاريخ وفاته.

4-محمّد بن عبد الله بن محمّد العتقي القرباني نسبة إلى منطقة قريانة بالوسط الغربي من البلاد التونسيّة، انتقل مع المعزّ لدين الله الفاطمي لمّا نقل الخلافة الفاطميّة إلى مصر، كان عالما بالتنجيم، وتُذكر له في ذلك آثار وتآليف، توفّيَ سنة 955 م

5- أحمد الباهي العوني وهو الجدّ الرّابع

لأحمد بن أبي الضياف، ليست له ترجمة، ورد ذكره عرضا في ترجمة أحمد بن أبي الضياف لأبيه الحاج محمّد بالضياف حيث قال فيه : "هذا الرّجل أصله من بيت ينسب إلى الصلاح في قومه كزوايا العربان، وجدّه كان سائحا مجذوبا ملت في سياحته قرب وادي الزرقاء على طريق باجة، ودفن حيث مات، وبنى على قبره الباي حمّودة باشا المرادي قبّة معروفة به، لأنّه كان يعتقده، وحبّس على زاويته بسليانة هنشيرا هو الآن بيد أحفاده."

6- الإمام محمّد بن عرفة (1316-1401) وهو أشهر من أن نعرّف به في هذه العجالة

7- أبو الفضل الوادي (كان حيّاً سنة 1407م) ولد بدمر بالجنوب التونسي وتعرف اليوم باسم "جبل الحوايا" ثمّ انتقل إلى جزيرة جربة وبها تعلّم، وفيها تصدّر للتدريس

8- الإمام الآبي وهو محمّد بن عمر الوشتاتي الآبي أصيل قرية "آبة" قرب الكاف وهي المعروفة اليوم باسم مدينة "النّعماني". تعلّم بجامع الزيتونة ولازم الإمام ابن عرفة فبرّز في جميع العلوم، وانتفع به النّاس، ولِيَ قضاء جربة سنة1407 م، له آثار مكتوبة، أهمّها "إكمال الإكمال المُعْلِم بفوائد صحيحة مسلم". وله اليوم ملتقى ثقافي يحمل اسمه يقام كلّ سنة بمدينة النّعماني.

9- يحي الحمروني : " يحي بن علي عبد الرّحمان بن جابر الحمروني من أهل العلم الصلاح ومن أعلام التصوّف، عاش في أواخر العهد الحفصي ما بين 1540و1600 م، كان نازلا مع عشيرته بمنطقة " عرّام " ثمّ انتقل إلى واحة مارث وأقام بها قصرا لسكناه وجامعا للصلاة وزاوية لدروس الوعظ والتفقّه في الدّين، كان لها بعده إشعاعها وتأثيرها، وكان لها دورها في ترويض النّفوس الجامحة وتليين سلوك الكثير من جفاة البادية.

10- أحمد التليلي (1709-1763) من أولاد سيدي تليل بن نصر الّذين يبدو أنّهم استقرّوا بجهة قريانة أواسط القرن الخامس عشر ميلادي. وبها ولد أحمد التليلي وفيها نشأ وترعرع ثمّ ارتحل عنها لطلب العلم فطاف على كثير من زوايا الجنوب الغربي من البلاد التونسيّة من قفصة إلى توزر ونفطة ثمّ إلى زوايا شرق القطر الجزائري وخاصّة زاوية سيدي ناجي المسماة بزاويّة الحنقة. ثمّ عاد ليستقرّ ويؤسس زاويته المعروفة إلى اليوم

باسمه بفريانة على مقربة من المدينة الأثريّة "تلابت" فكانت أوّل نقطة إشعاع تنشر العلم بين عربان السباسب العليا. وتشيع الأمن والأنس في المحانق الموحشة.

11- الشّاعر الورغي (1713-1776)

محمّد بن أحمد الورغي، أصله من قبيلة "ورغة" المخيّمة قرب الكاف، نشأ في طلب العلم واكتساب الأدب حتّى أتقنه واشتهر به، اتّصل بالأمير علي باشا باي الأوّل زمن تغلّبه، وله فيه قصائد شعريّة ومقامات نثريّة يمدحه بها، ولصفاء شعره وصدق مشاعره أبقى عليه علي باشا باي الثّاني ومحمّد الرشيد باي ابنا الحسين علي لمّا آلت إليهما الدّولة فقرّباه وشملاه بلاطهما وانتظم في سلك كتابهما وشعرائهما.

هذه عيّنات قليلة نسوقها على سبيل المثال لنؤكّد بها أنّ البادية لم تكن سلبيّة في علاقتها بالتّاريخ، ولم تكن مجرّد سلّة غذاء تمدّ المدينة بما تحتاج إليه لطعامها، وإنّما كانت أيضا تمدّها بالنّخب الجيّدة وبأصحاب الهمم العاليّة والطموحات الواسعة الذين كانت أعدادهم تتزايد عبر العصور، وقد نال الكثير منهم من الشّهرة والمجد ما لم ينله ذوو العراقة المنحدرون من سلالات العائلات المجيدة، ويكفي دليلا على ذلك أنّ نسبة المدرّسين بجامع الزيتونة الوافدين من خارج الحاضرة قد بلغت الخمس من مجموع المدرسين خلال الرّبع الثّالث من القرن التّاسع عشر، بل إنّ الكثير من أعلام الزيتونة البارزين كانوا من الوافدين من البادية: من ابن عرفة، إلى الأبي، إلى البرزلي، إلى محمد بن سليمان المناعي، إلى محمد بن ملوكة، إلى شيخ الإسلام إبراهيم الرياحي، إلى محمد بن محمد المناعي، إلى أحمد الورتاني، إلى سالم بوحاجب، ومحمد النخلي، ومحمد السنوسي وغيرهم

العوامل والأسباب

لقد أخذ نسق بروز النخب في البوادي التونسية يتصاعد، ورغبة ذوي الطموحات إلى الحضارة على وجه الخصوص تتزايد على عهد الدولة الحسينية وخاصة منذ عهد حمودة باشا الحسيني وذلك لتوفر جملة من العوامل والأسباب، نذكر منها :

1- انفتاح الدولة الحسينية على الكفاءات المحلية بسبب عاملين مهمين

1-1 : الامتزاج الحاصل بين أبناء الحسين

بن علي وبين الكثير من أعيان البادية ومشائخ القبائل، ومشائخ زوايا العربان، ذلك الامتزاج الّذي وصفه أحمد بن أبي الضياف في ترجمته لمحمّد الطيّب التليلي أحد أعيان زاوية سيدي أحمد التليلي حيث قال فيه : " وجدّهم العالم الصالح أحمد التليلي باي البيت، له امتزاج بأولاد حسين بن علي، حين كانوا بالجزائر، ونفعهم بعمله وجاهه، فرّقوا له ولبنيه من بعده، وكان الباي يكرّم وفادتهم، وينزلهم بدار الضيوف، ويراهم بعين الإجلال"

ونفس الوصف تقريبا أعاده بألفاظ أخرى في ترجمة عمر المرابط إذ قال فيه : "وكان يحترف صناعة السروج، أخلص الولاء لحسين بن علي وأبنائه، وهاجر معهم إلى الجزائر بعد موت أبيهم- فلمّا عاد العرش الحسني إلى أبناء الحسين بن علي أكرموه بالولاية على سوسة ثمّ نُقِل إلى القيروان"

وعلى هذا الأساس أدمج الحسينيون الكثير من فرسان البادية في أوجاق المخازنيّة والصباحيّة المكوّنة للجانب المهمّ من قواتهم العسكريّة

1-2 : النزعة الاستقلاليّة الّتي غلبت على نفوس حلّ ملوك الدّول الحسينيّة تجاه الدّولة العثمانيّة ابتداء من عهد حمّودة باشا الحسيني، بحيث أصبحوا يفضّلون أن يكون جنودهم وأعيان دولتهم من أبناء البلاد بدل أن يستقدموا جنود الانكشاريّة من الدّولة العثمانيّة فيكون ذلك تكريسا للتبعيّة وحدّا من الاستقلاليّة الّتي يتطلّعون إليها.

2 – تعريب الإدارة الحسنيّة أحوجهم إلى استخدام الإطارات المحليّة وخاصّة الّذين نالوا قدرا من جامع الزيتونة فأتاح ذلك من الطلبة الوافدين والّذين يعانون صعوبات معيشيّة فرصة الالتحاق بدواوين الإدارة في مختلف مستوياتها ولنا في الحاج محمّد بالضياف (ت 1838 م) ومحمّد المسعودي (ت 1847 م) أفضل مثاليين لهذا العامل المهمّ.

3– هجرة بعض الأفراد من هذه القبيلة أو تلك إلى الحاضرة وانفتاح أبواب الرزق والمجد لهم، واحتلالهم مراكز ذات وزن في الحياة الإداريّة أو الخطط الشرعيّة فتح الشّاهيّة لدى غيرهم وتنبههم إلى أهميّة الرّحلة إلى الحاضرة وإلى قيمة المغانم الحاصلة للّذين يغادرون تواجعهم طلبا للعلم، أو طلبا للمجد، أو سعيا في طلب

الـرّزق وتحسين أحوال المعيشة. فالحـــاج محمّد بالضياف استعان بابن جهته أبي عبـد الله محمّد المسعودي وكان سببا في دخولـه إلى ديوان قلم الحساب وترقّيه فيـــه إلى أن أصبح رئيسا له بعد محنـــة الحـــاج محمّـد بالضياف. وأبو عبد الله محمّد المســـعودي كان سببا في تثبيت قريبه محمّد بوكـاف في جند المحازنية، وكلّ واحد مـــن هـــؤلاء الثّلاثة كان له الفضل في بروز ابنه في مجـال من مجالات الحياة الإداريّة والثّقافيّة الأدبيّـة أو الفقهيّة والشّرعيّة

فالحاج محمّد بالضيـــاف أعطـى للدّولـة الحسينيّـــة وللتاريخ وللحضارة التونســيّة والإنسانيّة، الكاتب والوزير المؤرّخ والمصلح أحمد بن أبي الضياف، وأبو عبد الله محمّـد المسعودي أعطى للإدارة الحسينيّة وللتّـاريخ والأدب التونسي الأديب والشّاعر محمّـــد الباجي المسعودي

ومحمّد بوكاف لم يكن أقلّ منهما إســهاما فقد أنجب حسن بوكاف بما له من العلـوم الشّرعيّة

والخدمات الإداريّة.

وبفضل هؤلاء السّتة وغـــيرهم كثـــير أصبـــح لجهة سليانة رصيد متمـــيّز مـــن المساهمة في صنع تاريخ تونـــس الفكـــري والثّقافي.

4- المنحـــى الجديـــد الّذي أعطاه أحمـــد بن أبي الضياف لكتابة التّاريخ من خلال :

4-1: اهتمامه بالتّرجمة لأعيـــان مختلـــف الفئات الاجتماعيّة بما في ذلك الصنّـــاع، والتجّار ورجال الزوايا، وأعيان العـــروش، وقد كان المؤرّخون قبله يكتفون بالتّرجمـــة للملـــوك والأمراء، والـــوزراء، والقـــوّاد، والعلماء، وفحول الأدباء

4-2: حرصه على تأصيل انتماءات مـــن يترجـم لهـــم، وقـــد كـــان المؤرّخـــون وأصحاب التراجم قبلـــه يـــهملون ذلـــك مكتفين بنسبة المترجم له إلى المكان الّـــذي برز فيـــه وحطّم فيه نشـــاطه، ولذلـــك جاءت تراجم أحمد بن أبي الضياف تعـــجّ بعبارة " نشأ بناجعة قومه..." ثمّ حاكـــله في ذلك محمّد النيفر صاحب كتاب" عنـــوان الأريب في من نشأ بتونس مـــن عـــالم أو أديب"

4-3: اهتمامه بأخبار الجهات الدّاخليّـــة وأخبار البدو وترجمته لأعيـــان العـــروش وفرســـان باديّـــة، وبأخبـــار الثـــورات والانتفاضات الدّاخليّة ووصف الأوضـــاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي أدّت إليها.

4-4: تتبّعه لأخبار "عهد الأمان" والنّتائج

المترتّبة عن مخالفة قواعده، وعن عدم التزام بايات تونس بأحكامه. وتقصيّه أخبار الثورات والانتفاضات الشّعبيّة، وعلى الخصوص ثورة "الاثنين وسبعين" المسمّاة ثورة علي بن غذاهم سنة 1864، وما تلاها من كوارث وأحداث اجتماعيّة وسياسيّة خطيرة جعلت أوضاع الباديّة لافتة لأنظار المؤرّخ اللّبيب.

نخب الباديّة

سوف لن نقصر القول في هذا الباب على الحديث عن أعيان جهة سليانة وإنّما سوف نوسّعه ليشمل بعض الجهات الدّاخليّة البعيدة عن مراكز العلم والثّقافة وعن مراكز السّلطة ودواوين الإدارة، والّتي تشبه جهة سليانة في طبيعتها ومناخها الاجتماعي.

وعلى العموم فإنّه يمكن مبدئيّا تصنيف نخب الباديّة وأعيان العروش إلى ثلاث فئات متباينة في طبائعها وفي وظائفها الاجتماعيّة وأدوارها في الحياة:

1- فارس يرتزق بسيفه وحصانه، وقد قدّمنا هذه الفئة على غيرها وأعطيناها محلّ الصّدارة لاعتبارين على الأقلّ:

1-1: أنّ الزّعامة الحقيقيّة والوجاهة الفعليّة والسّلطة والنّفوذ العملي في الباديّة إنّما كانت جميعها للفارس باعتباره المقاتل البطل، وحامي الحمى.

1-2: أنّ الفروسيّة والشّجاعة والشّهامة العربيّة كانت أقدم ما أغرى بايات الأحلال في الدولة الحسينيّة بانتقاء من أعجبهم واستحبوه من فرسان القبائل لإلحاقه بأوجاقهم إن قبل، أو لربط العلاقات الوديّة معه إن تمسّك بقبيلته وناحيته.

2- عالم أو أديب يرتزق بعلمه أو بقلمه ولسانه، وهي ظاهرة بدأت تتزايد وتتكاثف منذ زمن حمودة باشا الحسيني ووزيره الحسن يوسف صاحب الطابع الّذي عمل على تأليف قلوب مشائخ القبائل وأعيان العروش، وفتح باب جامعه ورفده لطلاّب العلم الوافدين من الجهات البعيدة، وربط له علاقات شخصيّة مع مختلف مراكز القوّة والنّفوذ في الدّاخل، وقد أعطى هذا التوجّه نتائج سريعة وكانت له آثاره وانعكاساته الإيجابيّة على البوادي التونسيّة وعلى الخصوص القريبة منها من الحضارة.

3- محسنون وكرام صالحون وهم ثلاثة أصناف

3-1: منهم أذكياء ذوو فطنة اشتهروا بكياستهم وأمانتهم وإخلاصهم من أمثال

أحمد الجويني، والحاج محمّد بالضياف.

3-2: ومنهم عاملون عرفوا بحزمهم وحدّهم وتفانيهم في خدمة أقوامهم في ساعات الحرج والشدّة من أمثال أحمد الليالي عامل أولاد عون، وقضّوم الفرشيشي، وصالح بن عبد الجبّار الفرشيشي، وصالح الزكراوي العوني، وبلقاسم بن طاع الله العوني، وعلي بن غذاهم الماجري، وعلي بن عمّار العيّاري....الخ.

3-3: ومنهم أولياء عرفوا بتقواهم وصلاحهم من أمثال أحمد الباهي العوني، ويحي الحمروني من الجنوب التونسي، وأحمد التليلي من الوسط الغربي ومنطقة السّباسب العليا، وعبد الملك بن أحمد الحمّادي العوني، وغيرهم.

وحتّى تكون الصورة كاملة والفكرة واضحة فإنّه يستحسن أن نستعرض نماذج من هذه الفئات الثلاث.

I/ الفرسان :

الحقيقة أنّ نخب هذه الفئة أكثر من أن نحصي، ولكنّها لم تأخذ حظّها من التاريخ لعدم اهتمام المؤرّخ العربي القديم بأخبار البادية وأهلها، الأمر الّذي جعل تاريخ الفرسان وأخبار بطولات البادية يعتمدان على رواية الشّفويّة القصص الشّعبيّة الّتي ضاع أكثرها واندثر قبل أن يدوّن. ولولا أحمد بن أبي الضياف ما كان لهذه الفئة من أعيان البوادي التونسيّة ونخبها نصيب من تاريخ تونس المكتوب، ولتسهيل تصوّر طبيعة هذا النّوع من نخب البادية تصنّف الفرسان إلى فئتين :

فرسان اشتهروا في خدمة الدّولة الحسينيّة، وفرسان اشتهروا بالثّورة والخروج على الدّولة أو بالوقوف في وجه بعض مشاريعها وتصرّفاتها المؤذية للقاعدة.

أمّا الفرسان الّذين اشتهروا في خدمة الدّولة الحسينيّة فنذكر منهم :

1-محمّد بن عمر العوني المتوفّى سنة 1816م

كان قاطع طريق، أهدر حمّودة باشا الحسيني دمه ونشر العيون والأعوان لرصد تحرّكاته والقبض عليه، فلمّا علم ذلك ذهب إلى الباي بنفسه ودخل عليه محكمته وقال له : أنا محمّد بن عمر العوني الّذي أهدرت دمي، وها أنا ذا بين يديك فافعل بي ما أنت فاعل، فقرأ الباي قول الله تعالى من سورة المائدة : "إلاّ الّذين تابوا من قبل

أن تقدروا عليهم فـــاعلموا أنّ الله غفـــور رحيم" وعفا عنه، وعيّنه صبانحيا بديـــوان المحازينـــة ثمّ رقاه إلى رتبه شاوش، وخيّره في الالتحاق بالوحق الّذي يريد، فاختـــار وحق القيروان، ثمّ ترقي إلى رتبـــة كاهيـــة لنفس الوحق، ثمّ إلى الذي يريد، فاختـــار وحق القيروان، ثمّ إلى حطّة عامل قبيلتـــه أولاد عون.

2- محمّد الخماسي المتوفّى سنة 1824 :

أصلـــه من عرش الخمامسة أحـــد فـــروع قبيلة "وَيْفة" كان واحـــدًا مـــن فرســـان المحازينة، أثبت كفاءة عاليّـــة وتقلّـــب في وظائف المخزن إلى أن ارتقـــى إلى رتبـــة كاهية. قال عنه أحمد بن أبي الضيـــاف : "وهو الّذي أنكى في مقتلة الثائرين(2) مـــن جند الترك بوادي الطّين، ثمّ انفصل عـــن هـــذه الحطّة وتقلّد غيرها من الأعمـــال، وكان شجاعا صبورا ثابت الجأش ذا همّـــة عاليّة ونفس أبيّة"

3- مـــحمّد بوكاف البوبكري المتوفّـــى سنة 1833م. قال عنه ابن أبي الضيـــاف : "من ذرّية الولي أبي بكر المعروف ضريحـــه قرب الكريب، ثبت في جند المحازنيّة علـــى يـــد ابـــن عمّـــه الكـــاتب أبي عبـــد الله المسعودي، وترقى في الخدمـــة وتقـــدّم لولاية الأعمال في القبائل ثمّ اختـــصّ بـــه الوزير شاكير صاحب الطابع واستعان بـــه في خدمته مع العربان وعمّالهم"

4-محمّد بن عامر العوني المتوفّـــي ســـنة (1841م أو 1842) من أعيان قبيلـــة أولاد عـــون ومشائخها، آستنجه الباي حمـــودة باشا الحسيني وثبّته في ســـلك الشـــوّاش ثمّ ترتقّى وتدرّج في الرتب والخطـــط إلى أن أصبح كاهية الوحق التونســـي ثمّ أصبـــح عاملا على قبيلة ماجر، ثمّ علـــى غيرهـــا، يقول عنه أحـــمد بن أبي الضياف : "ليس لـــه من الســـجايا العربيّـــة إلاّ الحيـــاء، وركوب الخيل"

5- عبـــد الوهـــاب الشـــارني المتوفّـــى 1853م. من بيوت قبيلة شارن المخيّمـــة عادة على امتداد السّـــهول والمرتفعـــات الواقعة شمال غربي مكثر في اتّجـــاه بلـــدة القصور وما حولها، نشأ في جند الفرســـان من المحازينـــة وتدرّج في خططها بما فيـــه مـــن النجابة والسياسة، وكـــان البـــاي حمودة باشا يميّزه بين أقرانه، ويستكفي بـــه في البعوث، ويقدّمه بين يديـــه إذا غـــاب الباش حانبة منذ يومه الأوّل

6- سعد بن عبيد المتوفّى 1868م. أحـــد أعيان الروش من قبائل أتبـــاع أولاد رزق

من قبيلة دريد الكبرى، تقلّب في الأعمال وجباية الأموال ونال من الحظوة والتقريب فوق ما كان يأمل، وكان أميّا لا يحسن القراءة والكتابة، ترجم له ابن أبي الضياف وذكره كمثال على الانتهازيّة، وعلى سوء اختيار بعض البايات الحسينيين عمّالهم وممثليهم وأعوان دولتهم.

أمّا الفرسان الّذين اشتهروا بالثّورة فهم كثيرون في مختلف الجهات وعلى امتداد أحقاب تاريخ الدّولة الحسينيّة وقد تزايد عددهم حتّى فاق الحصر في مناسبتين : الأولى خلال "ثورة الإثنين وسبعين" النّاتجة عن مضاعفة ضريبة المجبى من 36 ريالا إلى 72 ريالا على عهد محمّد الصّادق باي سنة 1864 والثّانيّة بعد إلى تونس سنة 1881 م، ونكتفي منهم بذكر الأسماء التّالية:

1-علي بن غذاهم (1814-1864)زعيم وطني برز فجأة في خضمّ أحداث ثورة "الإثنين وسبعين" سنة 1864 حيث توحّدت رايته الكثير من العروش الثائرة وأصبح بمثابة القائد العامّ للثورة حتّى أصبحت هذه الثّورة تسمّى باسمه "ثورة علي بن غذاهم " وحتّى قيل أنّ بعض المراسلات أصبحت تأتيه من بعض الجهات باسم " باي الشّعب "، افشارت ثورته وآلت إلى فشل ذريع ونكبة على عامّة الشّعب بسبب المكايد والمناورات الّتي استطاعت تفريق النّاس من حوله

2- علي بن عمّار العياري (1833-1883م) أصله من عرش "الظّاهرة" المتفرّع من قبيلة أولاد عيّار، اشتهر بتمرّده المستمرّ على سلطة الباي، نفيَ سنة1876 إلى " نفيضة أولاد سعيد، ثمّ إلى "تستور" ثمّ سجن بزنزانة الحاضرة، ثمّ أوقف وسجن 1878 ثمّ سجن لآخر مرّة سنة 1881. ثمّ أطلق الباي سراحه وأغراه بخطّة "قايد" على قبيلته لإطفاء الثّورة الّتي ظلّت متواصلة، لكنّه زاد في تأجيجها فتزعّم الثّورة الكبرى المشهورة في تاريخ مقاومة الحماية الفرنسيّة، فقد تمكّن يوم 15 أوت 1881 من إعلان الثّورة العامّة بعد أن تمكّن من توحيد قبائل أولاد عيّار، أولاد عون، ووليغة ومحاجر، والفراشيش، وجلاص، والمثاليث، والهمامة، والمرازيق، ومناطق السّاحل التونسي، وهاجموا حمايات الباي في كلّ مكان وأعلنوا خلعه إن لم يتراجع عن معاهدة الحماية، قاد الجيوش متجها إلى

العاصمة لاحتلالها والضغط على الباي وإرغامه على رفض الحماية، لكنّه انهزم بعين تونقة"، قرب تستور حيث هاجمته الجيوش الفرنسيّة من جهة الكاف قادمة من ساقيّة سيدي يوسف ومن جهة الكاف ومن جهة باجة قادمة من بنزرت، وبترق في هذه المعركة يده اليمنى لكنّه نجا من الموت، وتراجع إلى الوراء ملتحقا إلى الجنوب التونسي ثمّ إلى طرابلس لكن حالته الصحيّة تدهورت بسبب جراحه فأعيد إلى تونس وتوفّيَ بها ودفن " بحوش الصفايا" بجهة مكثر

3- علي بن خليفة النفّاتي 1807-1885) من أبطال مقاومة انتصاب الحماية الفرنسيّة أعلن الثّورة ضدّ **محمّد الصّادق** باي إثر إمضاء معاهدة 12 ماي 1881، وقاد أهله نفّات في معارك عنيفة ضدّ الجيوش الفرنسيّة الغازيّة، هاجر إلى تراب الليبي وتوفّي هناك ودفن ببلدة الزّاويّة غرب مدينة طرابلس على بعد حوالي 40 كيلومترا

4- حرّاث الفرشيشي المتوفّى سنة 1890 من أبطال مقاومة الاحتلال الفرنسي سنة 1881 كان عاملا على عرش أولاد ناجي من قبيلة الفراشيش، أعلن الثّورة ضدّ **محمّد الصّادق** باي ونسّق مع جيرانه من عمّال العروش وخاصّة علي بن عمّار العيّاري وخاصّة معارك عنيفة على طول الحدود الممتدّة عبر حيدرة وقلعة سنان، ثمّ تأخّر إلى سبيبة وحلمة لينهزم في موقعة "النفّاضة" قرب قمّودة مع حليفه قائد الهمامة ومع فلول جيش علي بن عمّار العيّاري، ثمّ مع علي بن خليفة، وأوغل الجميع نحو الجنوب لينتهوا إلى التّراث الليبي ثمّ هاجر إلى مصر واستقرّ بها. وتوفّي بالأراضي المقدّسة أثناء حجّة ودفن بها وبقيت أسرته بمصر واندمجت في أهلها.

الغرب في الإسلام : حوار أم صراع

بقلم : مجيد الشارني

I/ مفهوم كلمة حوار :

إن كلمة "حوار" قد تعني ببساطة "علاقة" غير أن العنوان يقصد بالكلمة شيئا أكثر من ذلك. كما أن الحوار قد يعني بالطبع مجرد انشغال إلا أنه هنا له معنى حديث وقديم في نفس الوقت بمعنى أن الحوار واجب ديني "...جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا..." وواجب حضاري إذ يفترض الوجود. فالحوار بهذا المعنى ذو دلالات متعددة فقد يعني أي شيء ابتداء من قلب حساس يذوب أسى، إلى سلوك سياسي ذي أغراض خفية. كذلك فإن الكلمة التي تربط بالحوار-من "حار" الجواب أي رده-هي التواصل أو المصلحة. حتى و إن اختفى هذا المعنى في الإيديولوجيات الداعية فإن الحوار يتضمن المعنى المكسي والمعنى التواصلي في الآن معا دون أن يكون ذلك مانعا من التقابل و الصراع... إذ الحوار في جوهرة بنية من التقابل والاختلاف وأسلوب من أساليب وعي الحياة و تمثل العالم قصد تحقيق حضارة الإنسان بعيدا عن العزلة المقيتة و الرأي الواحد... لكن هل يمكن الحديث فعلا عن حوار بين الآخر و بين الإسلام ؟

هذه المداخلة لن تكون في إجابة عن قضايا التسامح والانفتاح الذي عليه الدين الإسلامي ربما لأن تلك القضايا تحتاج بدورها إلى نقاش ولكن هي محاولة لرصد الحوار : التحليات والمعوقات و السعي إلى التفسير التاريخي لهذه الظاهرة لعلنا بهذا نقترب من لحظة الصراع أو الحوار المتوتر...ولذلك فقط سأنطلق من هذه الفرضية: " أنه لا يوجد إنسان مطلق العزلة يعيش في فراغ و مع ذلك فلكل إنسان استقلاله الخاص، كذلك فإن الحضارات Cultures في نفس الوقت الذي تكافح فيه لتصبح جزءا من العالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأكبر، فإنّها تحرص على الحفـــاظ علـــى ذاتيتها الخاصة ".

والمعـــروف أنّ المجتمعات النّاميـــة تكـــون عرضة لتأثيرات خارجيّة، وتنزع لتلفظـــها، كما نجد المجتمعات الأكثر تقدّمـــا تـــزع نزوعا واضحا وربّمـــا بدافـــع إرادي إلى تصدير تأثيرها مدّعية أنّ نجاحها أثبـــت أنّ رأيها هو الحقّ. هذا هو الحوار الّذي قـــد يجرّنـــا للحديث عن الاستعمار الثّقـــافي : ذلك أنّ تصدير تأثيرها مدّعية أنّ نجاحـــها أثبت أنّ رأيها هو الحقّ. هذا الحوار الّـــذي قد يجرّنا للحديث عن الاستعمار الثّقـــافي : ذلك أنّ تصدير المنتجات الصّناعيّة يرتبـــط بطابع حضاري يحدّد مـــدى رواج تلـــك المنتوجات.

والمحتوى الحضاري لا يمكن أن يختلف عـــن ذلك بل إنّه في الحقيقة يعتبر بمثابة مؤشّـــر لقيمتهـــا. فهل هذا الخلط الّذي لا مفـــرّ منه في دلالات كلمة "حوار" بين العنايـــة والاهتمام و المصلحة والصّراع...ظـــاهرة حديثة بالمعنى المحدّد للكلمة أم أنّه شـــكل جديد لآخر قديم ؟

II/ حوار الغرب / الإسلامي ؟ :

سوف نقيّـــم الحـــوار في العصـــور الوسطى في حدّ ذاته (بمعنى هـــل كـــان الغرب يحاور الإسلام ؟

و هل كان الإسلام يحاور الغـــرب ؟) ثمّ نختم بربطه ربطا عابرا بالتّجربة الإنســـانيّة إذا تيسّر ذلك ؟ فمن كـــان في أوروبـــا الغربيّـــة في العصـــور الوســـطى، معنيّـــا بالإسلام ومحاورته ؟ و أعني بمعنيّ جميـــع الـــدّلالات الّتي ذكرت في المقدّمة. و أنـــا أعني بالإسلام المجتمع الإسلامي.

طبيعـــي أنّ الإجابة على هذا السّـــؤال في جملة واحدة غير ممكنة، بيد أنّنا نملـــك أنّ نجيب مباشرة على سؤال كالتّالي : "مـــن كان له موقف من الإسلام، سواء دينـــا أو مجتمعا ؟"

يفيدنـــا هذا اســـتعمال أهـــل العصـــور الوسطى لكلمـــة السّـــارين Saracen فمنهما يكمن أمر اشتقاق الكلمة و هـــو محلّ خلاف فقد كان اللّفظ يستعمل قبـــل الإسلام مرادفا للفظ "عربي" في كتابـــات مؤلّفـــين مثـــل "جـــيروم" Jerome و"سوزومين" Sozomen و"أميـــانوس" Ammianus وقد استعمل بمعنى مسلم، و لذلك كانوا يطلقون على أتباع الرّســـول اسم "السّارين" ليميزوهم عمّا عداهم مـــن العرب ممّن لم يدخلوا في دين الإسلام مثـــلا و ذلك في التّرجمة المشهورة الّتي قـــام بهـــا

رهبان دير كلوني Cluny للأعمال المنسوبة خطأ إلى الكندي إلاّ أنّه بصفة عامّة كان أبناء العصور الوسطى لا يفرّقون بين العرب و المسلمين، وكانوا يطلقون عليهم جميعا كلمة "السّارين" نسبة إلى سارة وهي نسبة خاطئة رغم شيوعها.

و قد عرفت كتابات العصور الوسطى ثلاث طوائف مميّزة تعرّضت للحديث عن "السّارين" أولى تلك الطّوائف. و أكثرها تميّزا هي طائفة الجدليين اللاّهوتيين ثمّ هناك المؤرّخون والرّحالة وأخيرا منشدو الملاحم وقصص المغامرات وتكاد تشترك تلك الطّوائف في هجومها على الإسلام وتتّهم الإسلام "بالعدوانيّة" و"الشّهوانيّة" وإن كانت الادّعاءات تعوزها الثّقة إلى حدّ كبير و مع ذلك فقد استمرّ هذان الاتّهامان لقرون عديدة، بل الواقع أنّه لم يبدأ تحوّل عام إلاّ في هذا القرن وهو تحوّل لا يقلّ سوءا. فقد كانت همة العدوانيّة غير دقيقة في العصر الّذي يبدأ حوالي 1100 ميلادي أي العصر المعاصر للحملة الصّليبيّة، و كان الاتّهام بالشّهوانيّة هجوما على الإسلام بقانونه الخاص فيما يتعلّق بالأحوال الشّخصيّة.

إنّ الحوار اتّخذ وجهين مختلفين : وجه المقارنة ووجه الصّراع فقد قارنت الدّراسات الأكاديميّة الجادة المشدودة إلى الحقيقة كيف تمثّل الإسلام والمسيحيّة وغيرها في الأديان علة الوجوب لكن الوجه الثاني أعني الصّراع كان أشدّ حضورا و تميزا و أقصد بالتميز الكثافة الّتي أنتجها وهي كتابات التّشهير الّتي كانت غالبا ما تكتب لمجرّد السّخرية بالنوع الأكاديمي الجاد.

ولم يكن ذلك الإقصاء الّذي يعتمد مصادر غير أصيلة ويعمد إلى تشويه الحقائق قادرا على النّفاذ إلى عمق المرجعيات الإسلاميّة إذ نجد في القرن الثاني عشر الميلادي كتابا أكثر اتّصالا بمصادر إسلاميّة صحيحة مثل البخاري ومسلم بن الحجاج و سيرة رسول الله لابن إسحاق وكان من الواضح أنّ هدفهم هو أن يحاربوا المسلمين بما قاله المسلمون- نذكر منهم بيتر بشاسيوس Peter aschsius وهو مؤلّف إسباني مسيحي- إلاّ أنّهم يسمعون بتبادل ثقافي طفيف رغبة في الإفادة بثقافة مغايرة. حقّا إنّ ترجمة توليدو Tolido لمدائح ابن طومار تعدّ استثناء وهو استثناء مشرف

للحضـــارة الغربيّـــــة في تعاملـــها مـــع الإسلام إلاّ أنّ تلك الترجمة تنفرد بكونهـــا الترجمة الوحيدة لكتابة إســـلاميّة لاهوتيّـــة (كلاميّة) بينما تتعدّد شواهد رغبتـــهم في التعلّم من العرب في مجال العلم، و في مجـــال يعدّ اليوم علما مزيّفا وهو التنجيم و حتّـــى فـــي المجال الأضيق كمجال الفلســـفة. إلاّ إنهم نادرا ما كانوا يســـمحون لمعرفتـــهم بالفلسفة الإســـلاميّة أن تتعـــارض مـــع الأهوت، ويعدّ بعض ما أخذوه عن ابـــن سينـــا من آراء لاهوتيّة فلســـفيّة اســـتثناء جزئيّا لموقفهم هذا، إلاّ أنّ الاستثناء كمـــا هو الخالد دائما، يلفت النّظر إلى القـــاعدة العامّة. لقد كان اهتمام الثّقافـــة الأروبيّـــة آنذاك-وربّما في كلّ وقت- ذاتي النّظـــرة فلم يكن واردا عندهم أن يحاولوا الوصـــول لتقييم عادل لثقافة أخرى. و قليلا ما نجـــد أحد الجدليين ليسمح لنفسه بأن تصدر عنـــه -عفوا- لمحة تقدير أو نبضة دفء أو شـــيئا أقرب لحبّ المسلمين فوليـــم الطرابلســـي William T. يشهد بالظّاهر كما يـــردّد في حبور واضح تكريم القـــرآن للمســـيح ووالدته (أعني لعنصر مسيحي...) ولســـت أريد أن أترك القضيّة عند هـــذا الحـــدّ. إذ ينبغي ألا نفكّـــر في العصـــور الوســـطى باعتبارها أكثر تعصّبا فـــالحوار لم يكـــن موجودا و لن يوجد على الأقلّ إذ كـــانت العوامل اليوم تشرع لثقافة الغـــالب... و لا للتلاقيح ومن الطّبيعي أن يسلّم الغرب بـــأنّ الإسلام حالة خاصّة و يخفون كونه البديـــل الحضاري الكبير المجـــاور. وقـــد اســـتغلّه الغربيون دائما لأغراضهم الحضاريّة مثـــال ذلك ما نجده عند كُتّاب حركة التنوير مـــن مهاجمة للدّين عموما كما فعل فولتـــير أو المسيحيّـــة بصفة خاصّة، و اليـــوم يـــهتمّ الغرب بالإسلام بشروطه وهو نفـــس مـــا فعلته العصور الوسطى إنّه مـــن التعصّـــب وعـــدم التســـامح أن يـــرى الغـــرب الإسلامي في ضوء مسلماته المسبقة.

III/حوار الإسلام / الغرب :

و لكن المشكلة الحقيقيّـــة كيـــف تحـــاور الإسلام مع الغرب... إنّه تقبّـــل حقيقـــة التعايش معه لكن في ظلّ قانونـــه الخـــاصّ وهو قانون سياسي واجتماعي واقتصـــادي لـــم تكن ترضى عليه دائمـــا الأطـــراف الأخرى : فكان نظام الجزية مثـــلا حـــلاّ وسطا للإبقاء على دين الآخـــر وطقوســـه وكانت الحرب حلاّ لازما لمن أنكر الحـــلّ الوسط... وكانت بعض الآيـــات مثـــل : "لكم دينكم ولي ديـــني" أو "لا إكـــراه في

الدّين قد تبيّن الرّشد من الغـــيّ " شـــرطا لازمـــا لتنظيم ذلك الحوار بـــين ثقافـــات متباينة لكن فكرة سياسة الدّيـــن الجديـــد وتقويضها لكثير من المصـــالح الاقتصاديّـــة خصوصا للمجتمعات الأخـــرى بعـــد أنّ فوضـــت معالم الأرستقراطيّة القرشـــيّة لم تكن تروق للكثير ممّن انفتح عليهم الدّيـــن فكثـــرت الدّســـائس ونكـــث المواثيـــق والخروج عن الحكّام وتحـــوّل الصّـــراع في فترات من تاريخ العـــرب المســـلمين إلى صراع حادّ بـــين الطّوائـــف والعرقيـــات المختلفةو ظهرت فكرة السّلطة بديلا عـــن فكرة خلافة الله، وبدأت الحروب الشّـــاملة و الحملات الجزئيّة منها الصليبيّـــة ومنـــها الحملات على الثّغور وقد تحوّل الحوار بـــين الإسلام والغرب منها إلى الصّـــراع وبـــدأ التّفكير في القضاء علـــى الثلثـــين لصـــالح الثلث، و كان فضل الدّين الإســـلامي في هذا الحوار لا صراع كبيرا فهو من ناحيّـــة ومن خلال النّص المقدّس ينفتـــح علـــى الجميع ولا يفضّل أمّة علـــى أخـــرى إلاّ بالتّقوى بل يدعو متّبعيه إلى احترام ديانـــة الآخر : يقول تعالى في سورة العنكبـــوت : "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بـــالّتي هـــي أحسن إلاّ الّذين ظلموا منهم وقولوا آمنـــا بالّذي أنزل إليكم و إلا هنـــا و إلاهكـــم واحد ونحن له مسلمون." آية 46

فالقرآن يوحي بالتّسامح إلى أقصى حدّ ممكن في الأمور الدّينيّة كما يوصي بحريّـــة الفكر واحترام جميع الأراء و نحن نجد هـــذا الاحترام كما أحصى ذلك الثّعلبي في روح التحرّر في الإسلام في 36 ســـورة و125 آية فالتّسامح يمثّل الفكـــرة الأساســـيّة في القرآن... لكن الفرق قد يبدوا بعيدا بـــين النّص و الممارسة الاجتماعيّة. فرغم كـــلّ تلك المعطيات فقد حـــاز لكثـــير مـــن المتعصّبيـــن أن يغلقـــوا باب الإســـلام في وجه البشريّة جمعاء تأثّرا بالأفكار الضيّقـــة والمفسّريـــن المنحازين فعزلـــوا المســـلم في بلاده وأقصوه كما يذكر الثّعالبي عن كـــلّ حركـــة تقدميّة إنسانا قليل المعاشـــرة... وتحوّل كلّ حوار في هذا الزّمن مع المســـلم صراعا مع أفكار ضيّقة ومن أجل غايـــات خسيســـة، فبعد " دار صليب" نتحـــدّث اليوم عن ثنائيّة "الكفر" و"الإيمان" بمحمـــول حضاري غريب.

IV/ بين الإخاء و الدّماء :

أ- المسيحيّة و الحوار الجديد:

صدر عن المجمع المســـكوني الفاتيكـــاني الثّـــانـــي عام 1965 قـــرارات أهمّـــها

"تصريح في علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحيّة ص 381-395 النصّ الأوّل عن الإسلام و الثاني عن اليهوديّة نذكر في هذا السّياق النّصين لما فيهما من تحوّل كبير في العلاقات بين هذه الديانات، يقول النصّ الأوّل : "وتنظر الكنيسة بعين الاعتبار إلى المسلمين الّذين يعبدون الإله الواحد الحيّ القيّوم... وإنّهم يجلّون يسوع كنبي وإن لم يعرّفوا به كإله وإنّهم يكرّمون أمّه العذراء وعلاوة على ذلك ينتظرون يوم الدّين ويعتبرون الحياة الأخلاقيّة... وإذا كانت قد نشأت، على مرّ القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين فالمجمع المقدّس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل... ويقول النصّ الثاني : "بما أنّ للمسيحيين واليهود تراثا روحيّا مشتركا وساميا يريد هذا المجمع المقدّس أن يوحي بالمعرفة والاعتبار المتبادلين و أن يعزّزهما بين الإثنين و يحصل ذلك خصوصا بالدّروس الكتابيّة واللاهوتيّة و بالحوار الأخوي." بل إنّ الكنيسة حذفت من جميع مراجعها الإشارة إلى قتل اليهود المسيح...

كلّ تلك التصريحات تعتبر نقطة تحوّل خطيرة في تاريخ العلاقات بين الأديان السّماويّة لكن لاحظ معي أنّ الدّعوات جميعها تأتي في وقت مخصوص، بمعنى أنّ التّصالح يأتي بعد أنّ ضعف سلطان الكنيسة السّياسي و الاقتصادي بل إنّ الكنيسة الّتي سيطرت على كلّ قرارات الغرب غدت شكلا من الأشكال الحرّة، وعلى العكس من ذلك سيطر اليهود على العالم ونفذوا بعمق إلى أهمّ مخطّطات النّظام الاقتصادي الجديد بل وفرضوا على العرب من زاوية الغالب التطبيع وعلى المسيحيّة أنّ تراجع نصوصها، كذلك الشّأن بالنّسبة إلى المسيحيّة و الإسلام فهو غزل أكثر منه حوار ذلك أنّه يأتي كذلك في سياق الغالب والمغلوب فلو كانت الكنيسة في أوجها ما كنت تسمح لنفسها بتلك التّصريحات التنازلات...

ب- الحوار بين المسلمين ؟ :

المتفحّص في التّاريخ الإسلامي يجد أنّ المسلمين في حدّ ذاتهم لم يكونوا دائما يتقنون الحوار أو يسعون إليه في الشّدائد، يكفي أن نذكر أنّ ثلاثة من الخلفاء الرّاشدين الأربعة لقوا حتفهم شهداء

وكانت تلك المآسي قد أنتجـــت بركـا أخرى من الدّماء من بني أميّـة و في أهـل البيـت (الحسين والكثير من أهـل بيته كربلاء و في خط قريش كان عبد عبد الله بن زبير)... وخرجـت مكّـة بـالمنحنيق وقـادت الثورات وانقسـمت الأمّـة إلى فـرق متناحرة و تداخلت القيم وادّعـت كـلّ طائفة امتلاك الحقيقـة و لكـم أن تنظـروا و إن كنتـم لا تسـتطيعون أن تحصوكم سال في سبيل تلك الحقيقة مـن دماء إنّ المسلمين بعد وفـاة الرّسـول لم يحسـنوا دائمـا الحـوار فتحولـوا إلى الصّراع...ولكم كذلك في أفغانستان خير شاهد...

ج- طريق الحوار بعد الصّراع :

وقد تنتهي الصّراعـات العنيفـة إلى حـين، و تضع الحروب أوزارها و لكـن إذا لم نحاول وقت الهدنة أن نعيـد النّظـر ونهيئ الأجيـال الجديـدة مـن وزر صراعاتنا وإذا لم نربّ تلك الأجيال علـى الحـوار وعلى الإحاء فإنّ بـذور الحقـد تعود لتنمو من جديد، إنّنا لم نتعلّـم آداب الحوار ونطهر الصدود من الأحقاد و الغـلّ على بعضنا البعض فإنّ الآخر أيّـا كـان موقعه فينا ومنّا سيفعل فينـا و بنـا مـا يريد...إنّه لا يستطيع أن يحاورنا و نحـن لا نمتلك عورة ذاتنا ...إنّـه لا يسـتطيع أن يحترمنـا ونحـن لا نحترم ذواتنـا ولا نعـول في رسم حياتنا على ما جاء مـن آداب في النـصّ المقـدّس وفي الشّـريعة السّمحاء.

في كلمة إنّ الغرب يصارعنا فيصرعنـا لأنّنا أعواد منفردة و لا حزمة من الحطـب، **يقول عليه السّلام** :" مثـل المؤمنـين في توادهـم وتراحمهم وتعاطفـهم كمثـل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعـى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراجع البحث

1/ Daniel Norman :
Western medieval concern with islam.
Traduit par Badraoui sami
"عيون المقالات" 1986/2
دار قرطبـة للطباعـة و النّشـر- الـدّار البيضاء - المغرب

2/Fuller Graham E. lesser lan o.
A sense of Siege :
The geopolitics of islam and the west
Oxford-newyork 1933

يبدأ الكتاب بمدخل يحدّد فيه المصطلحات و معالم البحث. و يقول إنّه ليس هناك "إسلام" في ذاته له كينونة أحاديّة التكوين، وليس هناك "غرب" وإنّما هذان مصطلحان من قبيل التحريب وقد شاع استخدامهما ولكنّهما في نهاية الأمر يفيدان معان مختلفة تماما باختلاف النّاس والزّمان والملابسات ويقرّر أنّ الهدف الّذي نعنيه عن قولنا مشكلة الإسلام والغرب المواجهة الإيديولوجية بين تيّارات الإسلام وهيمنة النظام الدولي...

3/ الثّعالبي (عبد العزيز) روح التحرّر في الإسلام دار الغرب الإسلامي ص1-1985.

4/ كامل (عبد العزيز) : الأسلام بين الإخاء و الدّماء مجلّة العربي العدد 36 نوفمبر 1988 ص18-22.

في الأعداد القادمة

- محمد الفاضل بن عاشور مؤرخا للأدب من خلال :
  "الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس" ..... كمال التومي
- الثّقافة والعولمة ..... الحبيب الدريدي
- المثقّف والعولمة ..... عبد القادر الطوبهري
- اللّغة العربية الفصحى ومنزلة اللّهجة
- العربيّة التونسيّة (2) ..... عبد الرّحمان عبد اللّطيف
- صالون "سمر" يستظيف منتدى الإتحاف
  للحوار والمؤانسة ..... محمّد العيّاشي طاع الله
- إلى "شطحات على إيقاع العشق" لجلال باباي..... نفيسة التركي
- حقوق الطّفل التونسي في الشريعة والمجتمع..... الصادق بن عمار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتشار المذهب المالكي بالمغرب العربي

بقلم : محمد صادق عبد اللطيف

تقديم إطاري

تونس القرن العشرين هي وارثة (أفريكـــا) وهي أيضا وليدة (افريقية العربية الإســلامية)، لمما يقر بأن (تونس أفريكا) هي النــافذة الأولى التي منها أطلت الحضارات القديمـــة المتداولة بالبحر المتوســـط علـــى القـــارة الإفريقية من حضارة قرطاج، إلى حضـــارة بيزنطـــة المسيحية التي زرعت في ربـــوع البلاد الكنائس والمعالم في محاولـــة فاشـــلة لكسب البلاد نهائيا. ولكن بفضل توسطها بـــين (المشرقين والمغربـــين) وتقدمـــها في طريق (الدعوة المحمدية الناهضـــة) كـــانت (تونس إفريقية) أول قطر مغـــربي اعتنـــق الإسلام، وانتصر لمبادئـــه وجنـــد طاقتـــه لنشرها. ذلك أن الروح الدينيـــة والإرادة الإسلامية في هذه الربوع الكريمة متواصلـــة على كر العصور رابطة بوثيق الرباط بـــين (عهـــد عقبة) وفتوحاته الأولى لتحليـــص دينه وأهل دينه مـــن العبوديـــة وحطـــر الاضمحلال والاندماج(1). ولما تم الفتـــح في منتصف القرن الأول للهجرة، وبمجـــرد أن قضى عقبة على النفوذ البزنطي بإفريقيـــة أسس القيروان وخط بها أول مســـجد في المغرب.

لما استهل القرن 2 هـــ بولاية خليفة صـــالح فقيه (عمر بن عبد العزيـــز) دخـــل علـــى المجتمع الإسلامي حافز جديد من حوافـــز اليقظة النفسية والاجتماعية، إذ مد عمـــر يده الحكيمة إلى الفقهاء، فاختـــار عشـــرة منهم من فقهاء التابعين -وهم أهل علـــم وفضل- فأقبل هؤلاء العشـــرة فأشـــاعوا الرشد وبثوا العلم وعلموا الحلال والحـــرام وحرصوا على الأمن والتآخي والمســـاواة، وبثوا دعوة الإسلام في البربر وضربوا لهـــم مثـــل العدل والحـــق والرحمـــة والســـيرة الصالحة، فكان إسلام البربر نهائيا، من آثـــار هذه البعثة الكريمة، وعظم شأن القـــيروان باعتبارهـــا دار ثقافة وتعليـــم، وانتصـــب والي القيروان بمقـــام الهدايـــة والإرشـــاد، وانتصب قاضيا على مقطع الحق ومفصـــل

العدل، يبرزان للإنسانيّة مثـــلا في المدينـــة الفاضلة.

وهولاء العشرة الذيـــن ترتكـــز عليـــهم إســـلامية) البـــلاد المغربيّـــة وقوميتـــها وعروبتهـــا(2)، فبهم انتشرت المســـاجد وعمّ تغيير المنكر وشاع القرآن والحديـــث والفقـــه، واستقامت سيرة النـــاس علـــى الآداب الشرعية، وأصبح الذين يدخلـــون القيروان من البربر ينقلبـــون بِمُثُـــلٍ عليـــا ومعلومات واضحة عن احكـــام الإســـلام ونظمـــه وآدابه، فيصبحون دعاة وهـــداة بين قبائلهم.

* * *

عندما اكتمـــل المغـــرب العـــربي صبغتـــه الإسلاميّة وبرزت شخصيّته العربيّة، قويّـــة متماسكة، وقد اتخذ كل مصر من أمصـــار الإسلام لنفسه مركـــزا لدراســـة العلـــوم الدينيّة، وكانت تلك المراكز قد تكوّنـــت بانتشـــار الصحابة وتوزّعهم في الأمصـــار التي تمصرت فأصبح المنهج الفقهي لكـــلّ جماعة أو فرد من الصحابة الأطهار، طريقـــة متبعة للفقه في المصر الذي استقر به ونشـــأ متبعا في مصدره الطريقـــة الفقهيـــة الـــتي انتهجها الصحابي الذي تفقه به في ذلـــك المصر، فكان أمثال عبد الله بـــن عمـــر في (المدينة) وعبد الله بن عبـــاس في (مكـــة) ومعـــاويـــة في (الشام) وعبـــد الله بـــن مسعود في (العراق) وعبد الله بن عمـــر في (مصر)، منابع سالت منها أنهار الفقه الـــتي تمثّلت في عصر استقرار المذاهـــب، عصـــر تـــابعي التـــابعين في المذاهـــب الفقهيـــة الكبرى المعروفة بمذاهب فقهاء الأمصـــار (مذهب مـــالك في المدينـــة) و(مذهـــب الشافعي في مكة) و(مذهب الأوزاعـــي في الشـــام) و (مذهـــب أبي حنيفـــة في العراق)(3).

التعريف بالمذهب المالكي

نبت المذهب المالكي كما هـــو معلـــوم في (دار الهجـــرة) علـــى صاحبـــها الصـــلاة والسّلام، وترعرع كصاحبه (مالك بـــن أنـــس الا صبحي) في ربـــوع (المدينـــة المنوّرة) الزكيّة، وعاش المســـجد النبـــوي الشريـــف على مدى حياة مالك العلميـــة يعجّ بمريدي هذا الإمـــام المفـــرد العلـــم، وطلاّب علمه، الذين أصبحوا أبعـــد مـــن أعلام الفقه والتشريع، من أتباع الإســـلام وكبار المجتهدين وخصوصا داخل المذهـــب، ولأنّ افريقيـــة كانت على مـــدى قـــرون مركزا حيّا من مراكز الثّقافـــة الإســـلاميّة ومنارة هادية من منارات الفقه والتّشـــريع

ومنبتا خصبا لأعلام التفكير والتأليف(4).

لقد ركّز (مالك) مذهبه على أسس نزّلها منزلة الأصول، وهاته الأسس هي : - الكتاب -السنة - الإجماع - الرأى

1) اعتمد مالك على الحديث في بناء مذهبه (يقبل العمل بخبر الآحاد) وهو يتحرّى في الأخذ بالأحاديث التي صحّ سندها، وأنّ السنة هي بيان للقرآن وشرح له وأنها تقرير لما جاء في القرآن وشرح لمراد القرآن حيث هي توضّح ما أمر به القرآن: تزيده شرحا.

2) عمل أهل المدينة - للمدينة تأثير كبير في نفس مالك، حتّى أنه أنزل عمل أهلها منزلة الأصل الشرعي القائم بذاته (بالمدينة نزل القرآن وتكوّنت السنة - عاش بها أصحاب النّبي- كثرة العلماء) مما جعله يعتبر عمل أهل المدينة الأساس الثاني للتّشريع.

3) العمل بقول الصحابة - قول الصحابة حجة عند مالك بشرط أن تثبت نسبته لقائله.

4) العمل بالرأى: لم ينكر مالك العمل بالرأى ولكنه ضيّق مجاله خاصة حين اعتبر عمل أهل المدينة وقول الصحابة حجة ومكانا يعتمد القياس في كثير من الأحكام والإمام الشّاطبي يذكر في (الاعتصام) أصوله الأربعة أعلاه.

المذهب المالكي بتونس

كانت البلاد التونسيّة من المناطق التي انتشر فيها هذا المذهب كما انتشر فيها مذهب أبي حنيفة النعمان، وبعد صراع مذهبي آل الأمر إلى سيادة المذهب المالكي بهذا القطر الممثل لجزء من الغرب الإسلامي الذي انتشر هذا المذهب في ربوعه بعد انقراض الظاهريّة واتباع الأوزاعي في الأندلس(5).

كان للتلاميذ الإفريقيين الذين تلقّوا عن الإمام مالك، دور هام في نشره ببلادنا وخاصة (علي بن زياد) راوي الموطأ ومدرّس فقه مالك بتونس إليه يرجع الفضل في نقل الفقه المالكي كاملا.

بعد المدينة المنوّرة كان منبع المذهب المالكي في إفريقية (تونس والقيروان) فقد كوّن علي بن زياد (أسد بن الفرات) و(سحنون بن سعيد) ويعتبر (ابن زياد) أبعدهم أثرا في تطوّر الحياة الفقهية سواء لدى الأفارقة أو الأندلسيين وقد استعد جامع الزيتونة لأداء رسالته، فكان (ابن زياد) قد دخل (تونس) بهدي إلا هيّ،

ساقه ليحمل الأمانة الوراثيّة.

سافر علي بن زياد للمشرق، ورجع في حدود (150 هـ) فكان أوّل من (أدخل الموطأ) إليها وانتصب يدرّس الفقه ويفسر أقوال (مالك) بالتوجيه والتأصيل. فطار صيته في البلاد الإفريقيّة، وأقبل إليه الناشؤون من طلبة العلم بالقيروان يشدّون الرحلة إلى تونس للأخذ عن (علي بن زياد) يسمعون (الموطأ) ويتفقّهون على مذهب (الإمام مالك) بطريقته. فكان من الّذين رووا (الموطأ) عن علي بن زياد عن مالك :

1 - أسد بن الفرات - 2 - سحنون -

3 - موسى بن معاوية الصمادحي.

وبفضل هؤلاء وأمثالهم درج المذهب المالكي بإفريقية ثمّ قام على يد (أسد بن الفرات) وأخيرا اكتمل نضجه وازدهر، وتمّت له السيادة على يد الإمام (سحنون) فأسد بن الفرات، وبفضله ساد بإفريقية مذهب إمام دار الهجرة المجانب للأهواء المنزه من كل شبهه، وقد التزم الناس منه زمانه المذهب المالكي وتشبثت به الجماهير الشعبية وتعاونوا في التمسّك به والدفاع عنه. وكان المذهب المالكي حصنا منيعا وقى أهل إفريقية شر الضلالات وعزّا أكسبهم قوميّة تنافحوا دونها وقاوموا الدخلاء من ذوي السلطان وذاتية كوّنت (الشعب المغربي الإسلامي). ومن إفريقية أشعّ المذهب المالكي على كلّ أنحاء المغرب والأندلس حتّى لم يكن لغيره من المذاهب من سيادة تذكر، وقد تحصّن أهل إفريقية إذًا ضدّ البدع والأهواء (بالمذهب المالكي) وذلك لتعلّقهم المتين بالحديث وسنّة رسول الله ومُثله العليا(6).

يعتبر(أسد بن الفرات وسحنون بن سعيد) مصدّرا الفقه وبالأخص الثاني فإنّه (مدوّنته جمّع علم مالك وفقهه) وأصبحت القيروان المركز المشع للمذهب المالكي وهذا أصبحت إفريقية المنبت الثاني للمذهب المالكي، ولولا العاصمتان الإفريقيتان (تونس والقيروان) لما راج المذهب المالكي ذلك الرّواج، والبذرتان الأوليان هما (موطأ ابن زيادة) ثمّ (مدونة سحنون).

يعدّ (علي بن زياد) المؤسس للمدرسة التونسيّة بأجلى مظاهرها التي لا تزال إلى اليوم ممتدة الفروع ثابتة الأصول، وكما هو متقدم أعلاه انتشر مذهب الإمام مالك بفضل تلاميذه العائدين إلى أمصارهم حيث انتصبوا للتدريس

والإفتاء وهم أصحاب مالك(7).

1) بافريقية والأندلس :

أبو الحسن (علي بن زياد) أخذ الموطأ مباشرة عن مالك وأوّل من رواه بإفريقية في حياة الإمام وأول من كتب مسائل الفقه والفتاوي التي تكلّم بها مالك، غير ما اشتمل عليه الموطأ، فأقبل على تضييق المسائل وتبويبها وخرّجها كُتُبًا كُتُبًا على مواضيع الأحكام الفقهية وتمّمى جملة الكتاب (خير من زنته).

2) أسد بن الفرات سمع من مالك (الموطأ) ثمّ رحل للقطر العراقي فأخذ عن علمائه الفقه الحنفي وأسمعهم موطأ مالك. دوّن الفقه في (الأسدية).

3) سحنون التنوخي وصل للحجاز وإلى مصر، ناشر الفقه المالكي بإفريقية وموطدّة فيها بفضل (المدونة) التي جمع فيها فقه مالك، وأفكاره، طبعت القيروان وإفريقية والمغرب والأندلس، فهو الّذي غلّب (فقه أهل المدينة) وبقيت المالكية سائدة بتونس إلى يومنا هذا، تلخصها في سلوك السكّان المتسم بالاتزان والوقار وتجنب الشبهات.

4) يحي بن يحي الليثي المصمودي عالم الأندلس وناشر مذهب مالك بها، روايته الموطأ هيّ أهم الروايات وأحدرها بالقبول، إذا اعتبرت أوثق الروايات للموطأ واثبتها.

5) بمصر عبد الرحمان بن القاسم، ممن اختصّ بمالك وانقطع له، وعبد الله بن وهب وأشهب بن عبد العزيز الذي انتهت إليه رئاسة المدرسة المالكية بمصر بعد ابن القاسم.

شيوخ علي بن زياد

لا نعرف من شيوخه من أهل تونس غير خالد بن أبي عمران ــ إذ أنّ ابن أبي عمران له اليد الطول في غرس العلم في مدينة تونس بما نفع به الناس وبما حمله من علم عن أبناء؟ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ــ فتخرج عليه أبناء تونس، وكان حامل راية العلم من بعده بعد التخرج عليه (علي بن زياد العبسي) ولا نظن أنّه لم يكن له من الشيوخ غيره.

أما شيوخه في المشرق، في طليعة هؤلاء :

1) الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة حيث روى عنه الموطأ وأسّس مدرسته في تونس وفي افريقية كلها.

2) سفيان الثوري الكوفي المتوفي 161 هـ وابن زياد هو الذي أدخل جامع سفيان إلى المغرب.

3) الليث بن سعد بن عبد الرحمان إمام أهل مصر في الفقه والحديث (175هـ)

4) أبو عبد الرحمان بن لهيعة قاضي مصر (174هـ).

أقوال في الامام علي بن زياد

لقد ساهم علي بن زياد وتلاميذه (سحنون وأسد) في اذكاء التيار الفكري وتنشيط حلقات دروس الفقه، وتثبيت المالكيّة بشمال إفريقيا والأندلس بما تركه كل واحد من بصمات على المنظومة الفقهية المالكية.

لقد كان الإمام سحنون من أبرز أعلام الفكر الإسلامي، في كامل إفريقية والمغرب العربي ولأنّ إشراقة الإسلام عملت على تنقية الحياة العربية من عوامل التخلّف والخرافة ودعوة الناس إلى استخدام العقل والحواس للتأمّل في مظاهر الكون والحياة والبحث على الأخذ بناصية العلم والمعرفة.

لقد رسم القرآن قواعد سليمة ينبغي مراعاتها في حياته وفتح له مجالا على درب الفكر والمعرفة الفقهية. وتأثر المسلمون بهذه المثل وجاهدوا من أجل تحقيقها ونشرها بين الناس وبفضل الجرأة والتكوين والاجتهاد في الأحكام ثبت المذهب المالكي من خلال (المدوّنة) الأصل والمرجع الأخير للفقه المالكي وإذا بدأت أوضاع الإسلام على شيء من الارتباك في عصرنا هذا فإنّما لانعدام التوفيق بين مقتضيات الدّين ومتطلّبات العصر ذلك التوفيق الذي كان يقدّم أسلافنا بما كانوا يتحلّون به من جرأة في الرّأي، وقوّة في العقيدة مع رفض التواكل والانغلاق، والتحجر، والتحفّظ، ومن خلال الأقوال التالية نلمس ما (لعلي بن زياد) من أثر ومكانة في نشر المذهب المالكي وتوطيده سواء بما اجتهد فيه ونقله، أو بما عمل به تلاميذه واستنبطوه.

1) يقول أبو العرب في الطبقات :

أبو الحسن علي بن زياد من أهل تونس كان ثقة مأمونا فقيها متعبّدا بارعا في الفقه، سمع من مالك بن أنس ومن سفيان الثوري، ومن الليث بن سعد، ومن ابن لهيعة، وغيرهم ولم يكن في عصره بافريقية مثله سمع منه، البهلول بن راشد، وسحنون، وشجرة بن عيسى، وأسد بن الفرات، وغيرهم، روى عن مالك الموطأ.

2) قال أبو سعيد بن يونس: (هو أول من أدخل الموطأ (ص 220 +522)

تراجم أغلبية) وجامع سفيان للمغرب وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه (الحلل السندسية ص 708 ج3).

3) يقول الشيرازي (به تفقّه سحنون وله كتب على مذهبه وتفقه بمالك).

4) يقول أسد: (قال لي المخزومي وابن كنانه: ما طرأ علينا طارىء من بلد من بلدان كشف عن هذا الأمر، وفي رواية عن ابن كنانة: كشف لنا مالك عن الأصول ما كشف علي بن زياد (الحلل السندسية ص 709).

5) يقول سحنون: (ما أنجبت افريقية مثل علي بن زياد)

6) نقل القاضي عياض في المدارك عن أسد بن الفرات أنّ أصحاب مالك الأولين أمثال المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي المدني، وابن كنانة كانوا يقولون: ما طرأ علينا طارىء من بلد من البلدان كشف مالك عن الأصول كشف علي بن زياد، أول من فسّر لأهل المغرب قول مالك ولم يكونوا يعرفونه وكان قد وصل الحجاز والعراق في طلب العلم وهو معلّم سحنون الفقه. (المدارك ج 3 ص 80)

كان علي بن زياد العبسي علما في العلم والفضائل يلجأ إليه علماء القيروان كلّما حدث خطب أو حلت قارعة أو حدثت مشكلة أو عرضت قضية، فلا يصدرون عنه من تونس إلاّ وقد حلّ المشكل).

7) علي بن زياد المتوفي 183 هـ: تلميذ مالك بن أنس وأول من أدخل أمهات كتب الحديث كالموطأ، رواية عن مالك، وقد رواها عنه بمدينة تونس ثلة من الفحول مثل أسد بن الفرات وخالد بن يزيد الفارسي وسحنون بن سعيد (126 الورقات ج 1)

8) يقول أسد بن الفرات: إني لأدعو لمعلمي الأول علي بن زياد في إدبار صلواتي قبل أن أدعو لوالدي لأنه من تعلّمت عليه العلم.

التعريف بالموطأ

هو كتاب حديث وفقه، فيه الأحاديث في الموضوع الفقهي الذي يجتهد فيه. ثم عمل أهل المدينة المجمع عليه ثم رأي من التقى بهم من التابعين وآراء الصّحابة والتابعين الذين لم يلتق بهم كسعيد بن المسيب، وفيه الآراء المشهورة بالمدينة واجتهاده الذي انتهى إليه(10).

الموطأ، هو الكتاب الثابت نسبته للإمام مالك، توخّى في تصنيفه المزج بين :

1) مروياته للحديث من رسول الله
2) فتاوى الصحابة والتابعين ومن بعدهم
3) استنتاجاته وفتواه الشخصية.

تسمية الموطأ

لقد اختلف العلماء في سبب تسميته، بعضهم قال أنه شيء صنعه ووطأة للناس ومهد به للعلم ويسره فسمي من أجل ذلك (بالموطأ).

إن مالكا لما ألفه عرضه على الشيوخ فواطأوه فسمي (الموطأ).

يعتبر الموطأ أول تأليف قد وصل إلى إفريقية، جمع علمي (الفقه والحديث) كما يعتبر ما وقع تدوينه في هذا الميدان قبل الموطأ بمثابة المذكرة الخاصة بصاحبها، يعود إليها عند الحاجة، وليس لها صبغة الكتاب(11).

إن تصنيف الكتاب جاء نتيجة رغبة أبي جعفر المنصور في توحيد القضاء بعد أن حصلت اختلافات كثيرة بين العلماء في المسائل الشرعية فنجر عنها تناقض الأحكام من مصر إلى مصر، فأراد أن يجعل فقه (أهل المدينة) دستورا يسير عليه القضاء في كل البلدان لقربه من السنة والمأثور.

دواعي تأليفه

1) لأن أهل الفرق والأهواء قد عمدوا إلى بلبلة الآراء وبث الغش بما كانوا يذيعونه من (بدع) كانوا يدافعون عنها ويتحمسون لها.

2) لأن الطلبة كانوا في حاجة إلى الاستعانة بالكتابة والتأليف لتزاحم العلوم وتأثير الروايات.

3) لكل هذا اتجهت همة (الإمام مالك) وهو على ما هو عليه من الثقافة وعلم وتقوى وإخلاص، إلى تدوين كتاب يجمع فيه أحاديث أهل المدينة وأقوال الصحابة والتابعين لهم (العلم المدني) كي يحفظه من التلاشي والضياع.يقول أحمد أمين(12) : كتاب الموطأ يعد من أوائل الكتب التي ألفت في الحديث والفقه وقد نشره الآخذون عن مالك في الأمصار.

منهج مالك في تأليف الموطأ

تولى الإمام مالك توضيح منهجه في تأليف كتابه الموطأ. وبيان ما اشتمل عليه من الأحاديث والآثار قائلا (فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة والتابعين ورأيي، وقد تكلمت برأيي وعلى الاجتهاد، وعلى ما أدركت عليه العلماء ببلدنا، ولم أخرج من جملتهم إلى غيره(13).

لقد اعتمد مالك في بناء مذهبه على الروايات المرفوعة للنبي منقولة أو مرسلة، وعن قضايا عمر بن الخطاب وفتاوي عبد الله بن عمر ثم على أقوال الفقهاء السبعة وهم (سعد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن أبي بكر الصديق، وأبو بكر بن عبد الرحمان، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار، وهم جميعا من فقهاء التابعين وفقهاء المدينة وبوبه على أبواب حسب ما يحتاج إليه المسلمون في عباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم من معرفة العمل فيها الذي يكون جاريا لهم على السند المرضي شرعا: يقول القاضي أبو بكر بن العربي : (إن مالكا بوب الموطأ بحسب ما يراه من الحكم وهو أقدم أثر إسلامي بعد القرآن.

خصائصه:

لم يسلك الإمام مالك في التأليف منهجا مضبوطا من حيث التبويب والترتيب ولكنه اعتمد :

1) ذكر الأحاديث المتعلقة بالموضوع الواحد في المسألة الفقهية التي يبحثها ويجتهد فيها.
2) ذكر إجماع أهل المدينة المجمع عليه.
3) رأي من التقى بهم بالمدينة من أهل الفقه والرأي من التابعين.
4) الاجتهاد إذا ظهر له أشكال في موضوع ما.
5) التدليل على رأيه بمروياته من الأحاديث وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.
6) الاتجاه رأسا للمسألة وبيان الحكم فيها والتدليل على ذلك.
7) نقل حكم علماء أهل المدينة إذ يقول : (الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا).
8) كان الإمام مالك يعقب الحديث (بأنه سئل عن كذا فأجاب بكذا) مستشهدا بالآية أو الحديث أو القياس، لأنه يتبع أحيانا تفريع المسائل ثم يذكر حكمها. لقد انفرد المذهب المالكي بخصائص ومزايا زودت الفقه الإسلامي بطاقة حركية متجددة وجعلته مرنا صالحا للتلاؤم والتكيف مع الزمن وقارا على حكم الشعوب رغم اختلاف أجناسها وألوانها وبيئاتها ولغاتها دون أن ينحرف قيد أنملة عن مبادئه وأصوله العامة المتفق علينا بالإجماع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتتمثّل هذه الخصائص في استعمال مبادىء السياسات الشرعيّة التالية:

- المصالح المرسلة: أي التي لم ينص الشارع على أنها مصالح أو مفاسد ولكن تلقتها العقول بالقبول.

ب - سدّ الذرائع ونعني، إعطاء الوسائل أحكام الغايات.

ج - العرف، وهو ما استقرّ في النفوس من جهة العقول وتلقّته الطباع السليمة بالقبول حيث تخضع ألفاظ النصوص للمفاهيم التي يشرحها (عرف) العصر الذي قيلت فيه تلك النصوص.

د - عمل أهل المدينة ويعني أن إجماعهم على نقل سنّة قولية أو فعلية أو تقرير مشاهدة أو إقرار، يعتبر حجّة على من خالفهم.

هـ - مراعاة خلاف المجتهدين من أئمة الفقه، وذلك عند إصدار الفتوى والنطق بالحكم فلا تُعامل المسائل المختلف فيها، معاملة المتفق عليه.

بهذه المبادىء أعطى الإمام مالك، لمذهبه القدرة على التحوّل من إطار (المذهب المقنّن في مدوّنة أحكام) إلى مدرسة تربوية إسلامية شاملة.

أصول المذهب المالكي

إن أصول المذهب المالكي سواء التي صرّح بها أو استنتجها أو استنتجها تلاميذه هي: الكتاب والسنة وقول الصحابي والإجماع وعمل أهل المدينة والقياس والاستحسان والاستصحاب والمصلحة المرسلة وسد الذراع والعرف والعادة.

دخول الموطأ للمغرب

أول من أدخل الموطأ للمغرب هو القاضي (عامر بن محمد القيسي)، وقد سمع عن مالك والثوري وهو أول كتاب حديثي دخل المغرب (ق 4). حيث بدأ ينتشر وتتحدّر جذوره وأصوله وفروعه في سائر مرافق الحياة.(14) وأول من أدخله إلى الأندلس (عبد الرحمان اللّخمي) الملقّب بشطبون(15). وقيل الغازي بن قيس، في خلافة عبد الرحمان الداخل. وأول من أدخله لمصر هو (عبد الرحمان بن القاسم)، وأول من أدخله لإفريقية (علي بن زياد)(16). صاحب الرواية المشهورة، وهو أول من فسر لهم قول مالك و لم يكونوا يعرفونه.

وإذن فإنه واضح أن المغرب تعرّف في عهوده الإسلاميّة الأولى إلى جميع التيارات السياسية والفكرية التي وفدت على الشمال الإفريقي وتصارعت فوق أرضه

لحدّة وعنف في أحيال غير قليلة، ومع ذلك فإنه اختار الاتجاه السُنّي، واختار داخل هذا الاتجاه (مذهب الإمام مالك) الذي عايش كل تلك التيارات واحتكّ بها، واصطدم معها قبل أن يحرز انتصاره عليها، ويصبح المذهب الذي أجمع المغاربة عليه، إذ جمّعهم في وحدة، ساعدت على حفظ كيانهم الديني والوطني بعيدًا عن النزاعات الطائفية التي كثيرا ما تكون سببا في تفكّك أوصال الشعب الواحد، وأن المذهب استقرّ نهائيا على مستوى العلماء والجماهير في إفريقية، ومنها انتقل إلى الأندلس والمغرب أو لعله استقرّ في إفريقية والأندلس وغيرهما، عرف ازدهاره في المغرب وغدا لشدة اقترانه وارتباطه به: (مذهبا مغربيا أو يكاد).

إنّ المذهب المالكي كان الحصن الذي اعتصم به أهل (إفريقيّة) حينما دهمتهم حركة الخوارج والفورات السياسية، والسيّاج الذي صان المجتمع من التفرّق والتبدّد في تلك العصور، التي تجاذبته خلالها المطامع وخاصة مطامع العبيديين الذين كانوا بدعوتهم المذهبيّة السياسيّة أن يزلزلوا كياننا من أحواز قفصة إلى ساحل الأطلس، وكيف أصبح هذا المذهب (قوميّة) فمن كان مالكيا قبلته الجماعة، ومن مال إلى غيرها نبذته وعادته. ومن آزر المالكية فهو صديق. ولأنّ إفريقيّة الإسلامية السّنيّة تحضرت وتهذّبت على يد مالك وذلك لأنّ المالكيّة عنصر من عناصر الكيان الشخصي، ولأنّ هذا المذهب يكون فيه الحكم بالعدل لمّا حبّب النفوس لبعضها وقرّبهم فكوّن إنسانا متمدنا مسلما يشوشا، ولمّ شعث الإسلام بعد فتن وافتراق، وكوّن وحدةً أماطت الذل والشقاق (17) حسب رأى الدكتور حسين مؤنس في مقدمة كتاب رياض النفوس، لأبي بكر المالكي (ص23).

خاتمة

من آثار انتشار المذهب في تونس

لقد كان لانتشار المذهب المالكي بإفريقية أثر في توحيد الشعب وبثّ روح الشجاعة، وكانت دراسة المذهب متواصلة ولم يؤثر عليها كثيرا دخول المذهب الحنفي وأن هذا المذهب كوّن رابطة قويّة بيننا، فسلمنا من شرور هدّامة. وشعبنا اختار المذهب الفقهي المناسب الذي قلمت مرجحاته تؤكد أهميته ومميزاته، وأن بلادنا

استفادت من تأثرها بهذا المذهب، فوائد جليلة فاتحد أهلها واكتسبوا قوة واجهوا بها الأخطار المحدقة وساروا على نهج (الأتباع) ونبذ (الابتداع) وسايروا (المستجدات) بضروب من الاجتهاد الشرعي) و (ساروا في مواكب النضال والتحرير والعلم).

رأي حول رسالة الإمام مالك لليث بن سعد إمام أهل مصر في الفقه والحديث

اعتمد الإمام مالك عمل أهل المدينة واجتهادهم كمصدر فقهيّ من فتاويه. وما ورد في الرسالة لليث تدل على عظم اعتماده على عمل أهل المدينة واستكاره لمن يسلك غير مسلكهم قائلا (بلغني أنك تفتي الناس...) وهو ما يوضح في أنّ عمل أهل المدينة لا يخالف ولا يخرج عنه، لأنّ الناس (تُبع لأهل المدينة) ولا يمكنهم الخروج عمن هم تبّع لهم، ويستند في ذلك إلى أن القرآن مصدر الشريعة الأول وأصلها الأساسي ومصدر الفقه والتفقّه في الإسلام، إنما نزل بالمدينة وأهلها، أوّل من وجّه إليهم التكليف بما تضمنه الكتاب العزيز.

تعتبر رسالة مالك إلى الليث بن سعد من عيون الجدل الفقهي الذي بلغ الذّروة في الأدب والتماس الحق بين عالمين كبيرين عاشا في القرن 2 هـ.

لقد كان كلاهما عالما في الفقه في عصره (مالك في المدينة والليث في مصر) وكانا يتواصلان في الله ويرعيان صلة العلم، التي تجمعهما وتؤلف بين عقليهما وقلبيهما. وكان أن علم الإمام مالك عن صاحبه (الليث) أنه (يفتي الناس) في بعض المسائل بما يخالف ما عليه العلم (بالمدينة) فكانت الرسالة كما كان الرّد وكلاهما يعتبر أثرا قيّما خالدا رغم انتقاد (الليث) (لمالك) حيث راجعه في عدة مسائل لكن مع تمام الأدب واللّطف والرّقة مع أنه قرينه.

وإذا فما الذي أراده مالك من رسالته ! يرى بعضهم أن رسالة مالك إلى الليث ورسالة الليث إلى مالك، كانتا تأسيسا لجدول فقهي قصد منه (التماس الحق) ! هل يمكن أن نسلّم بهذا ومالك في رسالته (يوصي وينصح ويحذّر ولا يسأل ولا يحاور)(18).

إنّ رسالة الإمام مالك تطرح قضية (أصولية) فقط وهي (عمل أهل المدينة) ولا تطرح مسائل فقهية. ونسأل ما

الذي جعل الامام مالك ينكر على الامام الليث أن يفتي الناس بأشياء مختلفة لما عليه الناس في المدينة، وهو يعلم أن الليث يعتمد -إن خالف- على ما وصله من أصحاب رسول الله الذين تفرّقوا في الأمصار عن رسول الله ! الجواب (وإن الذي جعل إمام دار الهجرة يذهب إلى هذا الرأي هو ــ كما يقول في رسالته: إن إلى المدينة كانت الهجرة وبها نزل القرآن، وأحلّ الحلال، وحرّم الحرام وإن الرسول كان يسنّ لأصحابه فيتبعونه حتى توفاه الله، وأن الناس في الأمصار المختلفة يجب أن يكونوا لذلك تابعين (لأهل المدينة) فيما (يجتمعون عليه) وعلى العمل به حتى لا يجوز لأحد (خلافه) وذلك للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز انتحالها، ولا أدّعاؤها، ويريد بذلك وراثة (علم الرسول وسنّته وعلم الصحابة والتابعين) وأن اجتماع أهل المدينة فيه معقولية حسب الرأي التالي:

1) لأنّ المدينة دار هجرة النبي صلى الله عليه وسلّم ومهبط وحيه ومستقرّ الإسلام وبجمع الصحابة فلا يجوز أن يخرج الحق عن قول أهلها.

2) إنهم شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وكانوا أعرف بأحوال الرسول من غيرهم فوجب ألاّ يخرج الحق عنهم.

3) إنّ رواية أهل المدينة لذلك مقدمة على رواية غيرهم، فكان إجماعهم حجّة على ذلك.

4) إنّ أهل المدينة إذا اتفقوا على عمل (مسألة) واتفق مع العمل علماؤها فهذا العمل (حجّة) يقدّم على القياس بل يقدم على الحديث الصحيح ــ أما إذا لم يكن عملا (إجماعيا) بل يحمله أكثرهم فهذا العمل أيضا (حجّة) يقدّم على خبر الواحد لأنّ العمل بمنزلة الرواية، فعمل الأكثرية بمنزلة رواية الأكثر، فإذا جاء خبر واحد يخالفهم كان الراجح أنه منسوخ (التفرقة بين إجماعهم على العمل النقلي والاجتهادي).

الخلاصة

إنّ الليث روى عن الإمام مالك ــ لربما ذلك ــ ما جعل إمام المدينة يغضب للمنهج الذي نهجه الليث في مصر يوم كان شيخها.

إطار الرسالة

الزمن التاريخي (الظرف) عهد نشر السنّة في الأقطار والأمصار عن طريق

تعليم الأئمة والشّيوخ وذلك بواسطة الحديث.

الإمام مالك كان في خلاف مع خلفاء بني العباس -الذين اغتصبوا الخلافة- وغضبوا على أهل الحجاز عامة وأهل دار الهجرة خاصة ضاربين عرض الحائط (بأهل الحديث) غير متشبّثين بأحد الخلفاء الراشدين، يرجعون في أعمالهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم مباشرة وذلك لأهداف سياسية تخصهم.

في هذا الجو السياسي كان مالك يدرس بالمدينة ويروي الحديث عن الصحابة ويشيد بالمهاجرين والأنصار ولا يرى سوى مذهبه القائم على القرآن والسنة، وعُرف أهل المدينة لكونهم حضروا الوحي ــ كانت دروس مالك قائمة على الحديث المرسل بعد القرآن وكان متشبثا بإجماع أهل المدينة وبقليل من الرأي (رأيه الخاص) ويستند في بعض الأحيان إلى فتاوى الصحابة.

طال المقام بالليث (كان مولى لعبد الرحمان بن خالد أحد المحدّثين وأحد كبار أعوان الدولة الأمويّة وقد اعتقه سيده هذا)، وكان الليث في عهد بني أمية يدعو الناس في مصر للإشادة بفضائل سيدنا عثمان بن عفّان وقد تشيّعوا للحسن بن علي حتى بعد موته.

مضمون الرسالة:

ربما كانت ورايها عوامل سياسيّة، حيث نعلم أن أهل الحجاز عانوا من بني أميّة وعانى مالك بالخصوص من بني العباس ولا سيما من المنصور ومن والي المدينة العباسي (جعفر بن سليمان).

الإسلام يجمع هولاء وأولئك وما كان للمسلمين أن يجعلوا (على ضلال). وإن توحيد الشرع يقطع الطريق على البدع والزندقة ولا يمنع هذا من الاجتهاد مادام الدين في خدمة المجتمعات وقد جاء الإصلاح أمرها، وما لك لم يكن مدرّسا للحديث ــ لأنّ الحديث في عهده لم يكن بعد مادة مدونة قائمة بذاتها ــ وإنما هو صاحب السنة فنشرها بين تلاميذه وبين قومه ــ ولو أنه كان من أهل الحديث لذلك فإني مع تقدم الزمن أقول نعم لتوحيد الكلمة حول الإجماع والعمل بالرأى.

نعم لإجماع يحصل بين علماء كافة الأقطار الإسلامية ومباشرة الأوضاع الداخلية لبلدانهم والليث حرّ في الإفتاء بما هو صالح لمصر، وما أحوجنا إلى الاجتهاد لصيانة

الحقوق، حقوق الإنسان ولإقـــرار دولـــة القانون.19

إن الإســـلام هو دين الله ارتضاه لعبـــاده (ومـــن يبـــغ غير الإســـلام دينـــا فلـــن يقبل منه) سورة آل عمران الآية 83

وهـــو الحجة البيضاء التي جاء بها رســـول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وهـــو دين الإحـــاء ونبـــذ الكراهيـــة والعـــداء (واذكروا نعمـــة الله عليـــهم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فـــأصبحتم بنعمته إخوانا) سورة آل عمران الآية 77

وهو دين عقيدة وعمل (وقـــل اعملـــوا فسيرى الله عملكم ورســـوله والمؤمنـــون) سورة. التوبة الآية 104

وهو دين الكرامـــة والعـــزة (ولله العـــزة ولرسوله وللمؤمنين) سورة. المنـــافقون و لم يكـــن الإســـلام بـــالمرة ديـــن التظـــاهر والمظاهر أو الانزواء والانطواء، و لم يكـــن بالمرة دين الشـــعارات الـــمستوردة أو المصدرة للإسلام الذي هو (كتاب وســـنة واجتهاد للصالح العام وجلب المصـــلح ودرء المفاسد) والله ولـــي التـــوفيـــق.

الإحـــالات

1 ــ (تونس المسلمة) نشر كتابـــة الدولـــة للإعلام تونس 1977

2 ــ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور= أعـــلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العـــربي ــ نشر مكتبة النجاح تونس (بـــدون تـــاريخ) ص8 ــ 11 ــ 14.

3 ــ المصدر السابق ــ ص 22 ــ

4 ــ البشير العريـــي = دور إفريقية في نشـــر الفقه المالكي مجلـــة الهدايـــة ع 1 س 16/ ذو القعدة ذو الحجة / جوان ــ جويليـــة 1410 ــ 1990.

5 ــ الدكتور محمد بو الأجفان= التفقـــه في الدين ضرورة للوضع (المذهب المالكي): المصدر السابق. (الهداية)

6 ــ محمد أبو رية = أضـــواء علـــى الســـنة المحمدية

7 ــ الشيخ محمد الشاذلي النيفر= (الموطأ لابن زياد) ــ بيروت 1972

8 ــ عباس الجراري = انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب (مجلة دعـــوة الحـــق) ــ شوال 1402 / أغشت 1982.

9 ــ الدكتور عمر الجيدي = محـــاضرات في تاريخ المذهب المالكي ــ المغرب 1987

10 ــ محمد أبو زهرة= تاريخ المذهـــب ج 2 ــ ص 239

11 ــ الهادي كرو: أصول التشريع الاســلامي ــ تونس 1976

12 ــ أحمد أمين = فجر الإسلام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

13 ــ الزرقاني = مقدمة شرح الزرقاني للموطأ ج 1 ص 7
14 ــ الكتاني = الأذهار العاطرة ص 110
15 ــ القاضي عياض = المدارك 117/3
المقرى = نفح الطيب 2/ 46
16 ــ المالكي = رياض النفوس
17 ــ الدكتور حسين مؤنس في مقدمة كتاب رياض النفوس لأبي بكر المالكي ص23.
هامش 1 رسالة ورأي الأستاذ محمد الحبيب السلامي متفقد التربية الدينية بصفاقس
2 رسالة من الأستاذ أحمد بن جلّون (كلية العلوم) الرباط المغرب

العربي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، تونس
6 ــ الحلل السندسية، الوزير السراج ج 3، ص 708
7 ــ تاريخ الفقه الإسلامي، الدكتور محمد يوسف موسى
8 ــ تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ النظم القضائية في الإسلام- الدكتور أحمد شلبي (مصر) 1976
9 ــ التربية الإسلاميّة للسنة السادسة ثانوي = تأليف لجنة من المربين (وزارة التربية القومية، تونس 1988)
10 ــ أصول التشريع الإسلامي، الهادي كرو ــ تونس 1976
11 ــ أضواء على السنة المحمدية، محمد أبورية، مصر
12 ــ الصراع المذهبي بإفريقية ــ عبد العزيز الجذوب ــ تونس
13 ــ ضحى الإسلام ــ أحمد أمين ج 2
فجر الإسلام ــ أحمد أمين ص 245
14 ــ موطأ الإمام مالك برواية القعنبي ــ تحقيق وتقديم عبد الحفيظ منصور ــ تونس.
15 ــ طبقات علماء إفريقية = علي الشابي ونعيم اليافي ــ تونس
16 ــ تراجم أغلبية = دكتور الطالبي ــ تونس
17 ــ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ــ

المراجع

I/ الكتب :

1 ــ موطأ الإمام مالك، قطعة منه برواية ابن زياد = تقديم وتحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر بيروت1982
2 ــ الإجتهاد والتجديد في الإسلام = جماعة من الأساتذة تونس 1961.
3 ــ تاريخ التشريع الإسلامي = محمد الخضري بك 1970 لبنان0.
4 ــ ورقات عن الحضارة الإسلامية في تونس = الشيخ حسن حسني عبد الوهاب ــ نشر مكتبة المنار تونس 1972 ج 3.
5 ــ أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمر الجيدي ــ المغرب ــ 1987
18 ــ ندوة الإمام مالك (ثلاثة أجزاء)
وزارة الأوقاف المغربية ــ فاس
1400/1980هـ
19 ــ أضواء على السنة = مصطفى كمال
التارزي ــ تونس 1981

II/ المجلات والدوريات :

- مجلة الوعي الإسلامي (الإمام مالك بن أنس) س 8 ع 93 أكتوبر 1972 العدد 13 السنة 13 مارس 77 (الليث بن سعد محدثا رفقيها) س 15 ع 70 ــ يناير 79 - الامام مالك.
- الهلة الزيتونية (تونس)
- الهداية - ع 1 السنة 15 ــ ذو القعدة ــ ذو الحجة / جوان ــ جويلية 1990 تونس
- دعوة الحق ــ 224 ــ 248 (المغرب)
- لواء الإسلام (مصر) ــ أغسطس 1963 ربيع 2) 1383 هـ.
- مالك وآثاره في الفقه الإسلامي (زكريا البرى).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأعداد القادمة

- "مقاهي الأدباء في الوطن العربي" لـ رشيد الذوادي .. علي بن مصطفى
- ترحال المعنى ذاكرة ، ذاكرة التاريخ..... رمضان بن رمضان
- طبيعة الإيقاع والتشويق في الفيلم السينمائي ..... أحمد ثامر جهاد
- أضواء على مدرسة الخط بنزرت..... رشيد الذوادي
- مأزق الأنا والبحث عن هوية ..... بلهوان الحمدي
- مفهوم القصيد عند الشاعر محمد الخالدي ..... م. ع. القوتي
- فن الرواية في جنوب العراق ..... ياسر عبد الصاحب البراك
- أحوال المناخ في أمثالنا العامة..... مختار المومني

قضـــايا النص المسرحـــي

بقلم الأستاذ : محفوظ بوغرارة

التخطيط :

I/ إشكالية النص المسرحي العربي بين النقد والإبداع

II/ قضية الصراع

III/ المسرح وسؤال الحضارة

IV/ بين النقد الأدبي

V/ إشكالية المصطلح ومنهج توظيفها

المقدمة :

إن همنا في هذه المداخلة أن نشير إلى الإشكالية الكبرى التي وجد فيها النص المسرحي العربي. فهو جنس أدبي مختلف عن بقية الأجناس، وله خصائصه التي تميزه عنها. لكن عناصره في كل الأجناس تقريبا : الحوار، موجود في الشعر والقصة والمقامة.. السرد (الإشارات المسرحية) متوفرة في القصة والرواية. إذن، أين يكمن الاختلاف. وكيف يتسنى لنا فصل المسرح عن الأجناس الأدبية. وما هي مستنداتنا النقدية ؟

I/ إشكالية النص المسرحي بين النقد والإبداع :

إن النص المسرحي يعد إبداعا غريبا عن العرب و لا تعترف به الذهنية العربية إلى جانب بقية الآداب الأخرى، و لا لم تستأنس إليه في تاريخها على الأقل : شأنه شأن التكنولوجيا. ولعل السر الأساسي يعود إلى فكرة-المثل الأعلى-فالعرب في تاريخهم لم يكونوا ليعولوا على النظر إلى المستقبل و إنما كانوا يستلهمون ثقافتهم من الماضي : مثال "تقعيد اللغة" الصواب ما قاله العرب القدامى أو وضع قواعد الشعر (العمود الشعري) الصواب ما سبق إليه العرب -الحضارة العربية- حضارة أموات إن صح القول. أما إذا عدنا إلى المسرح فإنه لم يسبق إليه العرب لذلك غابت كل القواعد والإبداعات. بل أراد العرب أن ينسجوا على منوال اللغة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشعر: فعللوا هذا النقص بأن اعتبروا مثلا (رسالة الغفران مسرحا) والقصيد الشعري القديم يتضمن جانبا من المسرح (أو هو ديوان العرب).

- كلها في الحقيقة محاولات بربرية ليس إلا يعلل توفيق الحكيم في مقدمة **الملك أوديب** هذا النقص بـ : غياب عنصر الاستقرار في الحياة العربية : كان العرب يعيشون الترحال، والحال أن المسرح يستوجب الاستقرار.

لكن بداية من القرن الأول للهجرة وخاصة في القرن الثاني، و بالتحديد في عصر المأمون عرفت الدولة استقرار مدنيا وسياسيا و معرفيا، و لكن لم يظهر المسرح كفن، سواء كان نصا أو ركحا.

وكانت ثمة بعض المحاولات في حركة الترجمة التي عني بها المأمون : فترجم العرب كتاب فن الشعر لأرسطو لكن المترجم متى ابن يونس ترجم : الكوميديا بالمهجاء، والتراجيديا بالمدح، يعني أنه اعتمد مقومات شعرية أو ظن أن الكتاب حول الشعر.

لكن حسبي، أن القضية سياسية بالأساس لأن المسرح من شأنه أن يخاطب فيه الممثل الجمهور بشكل مباشر فيثير قضايا السياسة ومشاكل المجتمع والمسرح مظهر من مظاهر الديمقراطية والتعبير الحر

II/ قضية الصراع :

يعد الصراع مقوما أساسيا في بنية النص المسرحي، يعني لا بد أن نجد صراعا تعيشه الشخصيات : داخليا أو فيما بينها، أو بين البطل و قوى أخرى خارجية عنه.

فمع الإغريق كان الإنسان يصارع الآلهة و الآلهة من شأنها أن تتحكم في قدر شخصية ما، فيحاول البطل التمرد على الآلهة التي تحكمت في قدره، و يستغل الحكيم هذا المقوم ليبين التحويرات التي قام بها في نطاق الأسطورة اليونانية.

فالإسلام بالنسبة إليه يتحكم في توجيه الفكر العربي لذلك فهو لا يبيح صراع الإنسان مع الله. فعمد الحكيم إلى أنواع أخرى من الصراعات (الملك أوديب- صراع الإنسان مع الإنسان مع الزمن في أهل الكهف...).

وفي هذا النطاق يجوز اعتبار مقوم الصار عاملا من العوامل ساهمت في تأخر المسرح العربي.

III/ المسرح و سؤال الحضارة :

إن الإنسان بطبعه يحمل هاجس الحضارة المتطورة التي أنجبت أرسطو و أفلاطون

وسقراط...لذلك وإلى وقت غير بعيد كانت أوروبا تعدّ الإغريق مثلها الأعلى...يعني يجب الأخذ عن الحضارة الإغريقيّة باعتبارها المنبع والحكيم كان متأثرًا بالحضارة الأوروبيّة، فحاول أن يوظّف نفس المنهج و يأخذ عن الحضارة الإغريقيّة. لأنها الأصل الّذي مهّد إلى المسرح. وتوصّل الحكيم إلى عدّة نتائج وعلاقات بين الذّهن الإغريقي و الذّهن العربي و تمّى مشروعه هذا **بالمصالحة** : مصالحة بين الحضارتين. أمّا شكل هذه المصالحة فهو ما عمد إليه من تحويرات في مستوى الأسطورة الإغريقيّة حتّى تلائم الذهنيّة العربيّة. أوديب في أسطورة سوفوكل، كان يتحرّك حسب مشيئة الآلهة. فهو ينفّذ إرادة الآلهة. لكن في مسرحيّة الحكيم : أوديب يصارع الحقيقة، ويصارع إرادة ترسياس (وبالتّالي صراع الإنسان مع الإنسان، و صراع الإنسان مع الحقيقة) **لكن حسب رأيي** : المنبع الأصلي للحضارة الإنسانيّة أو قلْ مهد الحضارة العربيّة إنّما هي **مصر** : بالفرعونيّة و بالاسكندر المقدوني، و بما وصلت إليه من شتّى العلوم. فاليونان تأثّروا بالحضارة الفرعونيّة، و أرسطو يعترف بذلك.

وكذلك أفلاطون في جمهوريّته يقرّ بأنّه ذهب إلى مصر وتعلّم منها الرّياضات وبالأحرى الهندسة مقترنة بالرّياضيات : يعني في مرحلة لم تنفصل الرّياضيات عن الهندسة و علم الحبر.

لذلك عاد الأوروبيون اليوم لدراسة العلوم المصريّة القديمة ووضعوا دراسات متعمّقة في هذا الشّأن فظهرت **الإيجبتولوجيا** Egyptologie. – الحضارة اليونانيّة ازدهرت لأنها تأثّرت بالحضارة المصريّة آنذاك.

IV/ بين النّقد المسرحي والنّقد الأدبي :

إنّ العمليّة النّقديّة لدى العرب في القديم لم تكن غائبة تمام الغياب دائما و إنّما زامنت العمل الإبداعي بصفة عامّة. و قد وعى العرب الجدليّة القائمة بين الباثّ والمتقبّل.فنجد الشّاعر يقوم بدوره النّاقد، فينقّح قصيده بلاظافة و الحذف. و نجد الجمهور يقدّم أحكامه حول القصيدة. لذلك ظهر النّقد في مستوى هذه الأحكام جماعيّة بمعنى أنّ مفهوم الإبداع كان ينضوي تحت نفس المقاييس : **فالجواب : ما قاله الشّعراء السّابقون. فظهر القصيد**

الجاهلي المشـــروط بشـــروط : (الوقفـــة الطللية-النسيب-وصف الرحلة-الغـــرض).و المهم أن العملية النقدية جاءت بعـــد العملية الإبداعية، يعني أن الإبداع هو الذي حدد القاعدة (العمود الشعري).

- حضرت المادة قبل القاعد ثم تطور النقـد إلى أن ظهرت الدراسات اللسانية فـأعطت نفسا جديدا لدراســة الأثــر الإبداعــي- فظهرت المـــدارس النقديـــة (البنيويـــة- السلوكية-مدرسة التحليـــل النفســـي...) وتولدت عن هذه المدارس مادة نقدية اسمها المناهج. وظهرت الأسلوبية والصوتيـــات وصولا إلى الدراسات المخبرية. وصـــارت هذه المدارس تشتغل على النص الجـــاهز: يعني أن المنهج جاهز و يمكن دراسة أثر مـــا هذا المنهج أو أي منـــهج آخـــر مخـــالف (مقومات القصة : زمـــان +شـــخصيات +سرد +حوار...) لكن الأمر يختلف مـــع المسرح.

مع المسرح سبقت القاعدة المادة، يعـــني أن النص المسرحي لم يسبق المسرحية، علـــى الأقل، لأن النص المسرحي له شروط و التي ظهرت أول ظهورها مع أرسطو في كتـــاب فن الشعر. فكاتب النص المسرحي يختلـــف تماما عن كـــاتب الروايـــة أو القصـــة أو القصيدة. كاتب النص المســـــرحي وهـــو يكتب نصه لا بد أن يحضر في ذهنه جدليـــة الإبداع و التمثيل، يعني أنه نـــص قـــابل للتمثيل. فأدبيته لا تتوقف عنـــد حـــدود الإبداع و جمالية العبارة المقـــروءة و إنمـــا تتعدى ذلك إلى جمالية التمثيـــل. لذلـــك يتداخل الحوار مع الإشارات السردية، والتي سماها البعـــض الإشـــارات المســـرحية أو الركحية، لأن لها صلة بالتمثيل.

ويعد أرسطو أول من وضع كتابا في النقـــد المسرحي فضبط مراسم المســـرحية زمانـــا ومصطلحا وبطلا ومضـــامين و ذلـــك في كتابه فن و الشعر. و قد عرف المســـرح الذي عني به أرسطو بالمسرح الكلاســـيكي غير أننا لا نجد في كتاب أرســـطو حـــدا لمصطلح الشعر و إنما اهتم بتحديد المفاهيم التي تحدد نوع المســـرحية. فعـــالج حـــد التراجيديا. وحد الكوميديا.

يقول في حد التراجيديـــا :" التراجيديـــا محاكاة لفعل جاء تاما في ذاته له طول معين في لغة ممتعة لأنها مشفوعة بكل نوع مـــن أنواع التزين الفني وتتم هذه المحاكـــاة في شكل درامي لا في شكل سردي وبأحداث تثير الشفقة و الخوف و بذلـــك يحـــدث التطهير من الانفعالين".

إن في كلام أرسطو كلمات هامة تعتبر مفاتيح لفهم معنى المسرح الكلاسيكي :

المصطلح الأول : المحاكاة : أن يندمج الممثل مع الشخصية التي يؤدي دورها في مستوى المضامين والحركات و اللباس...

فالمحاكاة تتأسس على ما يسمى مفهوم **الإيهام**. والمقصود من المحاكاة إيهام المتفرج بأن الممثل الذي يؤدي الفعل لا يمثل دورا مسرحيا و إنما على العكس من ذلك إنه يرى كأنه ذات الشخص الذي يؤديه. ويؤكد أرسطو هذا المفهوم بقوله : "وتتم هذه المحاكاة في شكل درامي لا في شكل سردي".

فالدراما تنهض على ضرورة تقمص الدور بينما السرد يولد مسافة بين الممثل والدور. فالإيهام في المسرح الكلاسيكي يجعل من الجمهور كالحالم زمن اليقظة. مفهوم المحاكاة متناسق أيضا مع غرض المسرح. والغرض الأساسي للمسرح عند أرسطو : هو التطهير يعني حمل الجمهور على الخلاص من انفعالي الخوف والشفقة. ووظيفة الممثل أن يوهم الجمهور بأنه لا يرى تمثيلا وإنما يرى حقيقة.

وحدد أرسطو **الكوميديا** بقوله : "والكوميديا محاكاة لأشخاص أرديء أي أقل منزلة من المستوى العام، و لا تعني الرداءة كل نوع من السوء و الرذالة و إنما تعني نوعا خالصا فقط هو الشيء المثير للضحك".

إن الذي يشد انتباهنا في هذا الكلام تأكيد أرسطو مرة أخرى على مفهوم الإيهام من خلال كلمة **المحاكاة** غير أن مقصد الإيهام في الكوميديا يختلف عن الإيهام في التراجيديا.

إلى هذا الحد بدا المسرح الكلاسيكي محددا لعلاقة المسرح بالجمهور من خلال عبارات من قبيل "المحاكاة و الإيهام..."

فما هي أهمية النص المسرحي في المسرح الكلاسيكي ؟ أفلم يقنن المنظرون لهذا المسرح شروطا يكون عليها النص المسرحي؟

لا بد قبل الإجابة أن نشير إلى أن مفهوم الإيهام مؤثر حتما في إنشاء النص المسرحي-فمنشئ الكلاسيكية المسرحية أو النص السردي الكلاسيكي يخضع إلى ضغوط خارجية هي حضور صورة الجمهور في ذهنه لإيهامه بالمحاكاة. و هذه الضغوط لا ينبغي ان تتجلى حتما في بناء النص المسرحي و في لغته و في حركة شخصياته...

حدّد منظرو المسرح الكلاسيكي أسسا لا بدّ من توفّرها فيه،و تمثّل أصولا و مقوّمات ضروريّة نذكرها كالتّالي :

1/ الحدث و الحبكة المسرحيّة :

اعتبر أرسطو أنّ الحبكة هي روح التّراجيديا، فهي جوهرها تتّصل بانتظام أجزاء المسرحيّة حتّى تكون عملا فنيّا متناسقا تتوفّر فيه الوحدة العضويّة بعبارة أرسطو. فالنّص المسرحي بهذا المعنى الكلاسيكي يشترط فيه تناغم مكوّناته الحديثة في حبكة تجعله وحدة فنيّة. والحدث من أهمّ العناصر في النّص المسرحي المكوّنة للحبكة المسرحيّة.

وعموما فإنّ انتظام الأحداث في النّص المسرحي الكلاسيكي يكون كالتّالي :

تنطلق المسرحيّة من حدث معين ينبع بالإشارات للزّمان و المكان-تحمل هذه الإشارات خلفيّة اجتماعيّة أو غيرها-ثمّ يشتدّ التّصادم بين الأحداث فتتعقّد- وتتدخّل عناصر تفوق تطوّر الحدث فتكون الأزمات في حدودها القصوى- و عادة تكون الأزمة في نصف المسرحيّة-وبعد شدّة التّأزّم تتدرّج الأحداث نحو الانفراج شيئا فشيئا- فيكون البطل من النّاجحين أو الفاشلين.

2/ وحدة الزّمان ووحدة المكان :

وحدة الزّمان : كما عبّر عنها أرسطو في التّراجيديا أن تجري أحداثها في دورة شمسيّة أي في يوم و ليلة. أمّا الأحداث الخارجيّة عن هذه الدّورة فيسردها الأبطال أو الجوقة -هذا المفهوم لوحدة الزّمان لم يبق مولفو النّصوص الكلاسيكيّة أوفياء له. فإذا بعض المسرحيّات تجرى أحداثها في مدّة أطول من الزّمن المحدّد. **أمّا وحدة المكان فإنّها** متّصلة بوحدة الزّمان- فالأحداث يجب أن تجرى في مكان واحد **(في قصر مثلا)**.

ويجب أن نفهم أنّ شرط وحدة المكان والزّمان ليس إلاّ استجابة من مؤلّف النّص لتقريب الحدث من الجمهور-فالممثّل يمكنه أن يحاكي الدّور بحضرة الجمهور والجمهور يمكّنه التّفاعل أكثر.

بناء الشّخصيّة المسرحيّة :

إنّ منشئ النّص المسرحي الكلاسيكي ينبغي أن يرسم للشّخصيّة ثلاثة أبعاد :

أ/ البعد المادي : يرسم ملامح الشّخصيّة- السنّ-الجمال-القبح-اللّباس...

ب/البعد الاجتماعي : يحدّد فيه النّص منزلة الشّخصيّة اجتماعيّا (ملك-عبد-إله...) ويضبط علاقتها الاجتماعيّة وحسب أرسطو فإنّ الشّخصيّة التراجيديّة

يجب أن تكون من عظماء النّاس، عكس الشخصيّة الكوميديّة....

ج/البعد النفسي : حيث تتجلّى دوافع الشّخصيّة وعقدها و انفعالاتها وعواطفها وأفكارها.

- هذه الملامح الثلاثة في تناسقها مع بعضها تجعل النص المسرحي يقدّم لنا شخصيّة متكاملة وتنسج من هذه العلامات الثّلاث ما يسمّى بوحدة الشّخصيّة ووحدة الشّخصيّة طبعا تستجيب في المسرحيّة لغرض الإيهام.

- وبذلك فإنّ أصول النصّ المسرحي ثلاثة : **وحدة الزّمان** – وحدة المكان– وحدة **الشّخصيّة و الحبكة** الحديثة – و هي أصول تجعل من النص المسرحي وحدة فنيّة تتجانس فيها هذه العناصر و النص الكلاسيكي يرفض تكسير الوحدة وتجزئة الشّخصيّة.

فكيف يتجلّى مفهوم الإيهام عند مؤلّفي المسرح العربي و منهم من كتب مسرحيّات لنقرأ لا لتمثّل على حدّ رأيه؟

إنّ معظم النصوص العربيّة تتنزّل ضمن إطار المأساة – (الملك أوديب–السدّ–أهل الكهف –الخلاج...) لذلك حري بنا أن نبيّن حدود هذه العبارة : يقول أرسطو في تحديد المأساة في ص 25 من كتاب فن الشعر : " المأساة محاكاة فعل نبيل تام لها طول معلوم و مزوّدة بألوان من التزين تختلف وفقا لاختلاف الأزياء. وهذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون بواسطة الحكايات الّتي تثير الرّحمة و الخوف فتؤدّي إلى التطهير من هذه الانفعالات".

يهمّنا أساسا في هذا القول تحديد عبارة المأساة "بالفعل النبيل **التّام**" ومعناه أن المأساة تعالج المواضيع الجديّة و لا تهتمّ بالأحداث العاديّة. ومن أمثال المواضيع النبيلة أو الجديّة، علاقة الإنسان بالقدر، أو علاقة الإنسان بالوجود أو بمنزلته في الحياة، أو بالمجتمع أو علاقة الإنسان بنفسه.

وهي مواضيع تنشأ عنها طبيعة البطل المأساوي، أو طبيعة الفعل النبيل التّام، ويتحدد بها الشّخص الفاعل، و الفاعل في المأساة ليس ليس شخصا عاديّا، فهو على حدّ رأي بعض النقّاد:" يجب أن يكون من ذوي الشّأن بالميلاد والمركز".

فالبطل يكون من الآلهة أو أنصاف الآلهة من الملوك أو الشعراء... والفعل الّذي ينشأ عن هؤلاء يكون فعلا تامّا و نبيلا. ونعتقد

أنّ طبيعة الفعل لا تكتسب نبلها من ذاتهـــا وإنما من علاقتـــها بالفـــاعل. والمقصـــود بالفعل التّام : الفعل المنجز بذمّته ينجز حتى النّهاية، فهو فعل لا يحتمل البتر. وبذلـــك تكون المأساة إقداما على الفعل. وحتّى يتـمّ الفعـــل لا بدّ أن يتوفّر عامل التحدّي لكلّ ما يعوق فعل البطل المأساة إقدامـــا علـــى الفعل.

وحتّى يتمّ الفعل لابـــدّ أن يتوفّـــر عـــامل التحدّي لكلّ ما يعوق فعل البطل المأساوي فيكون البطل فـــاعلا، وفعلـــه لا يعـــرف التراجع.

إنّ طبيعـــة الفعل التّام تحمل البطل علـــى تخطّـــي الصّعوبـــات مـــن أجـــل إنهـــاء الفعل.فأوديب مثلا في حلّ النّصوص الّـــتي اتخذته بطلا يسعى إلى الكشف عن الحقيقة فيتخطّى في سبيل ذلـــك جميـــع العوائـــق الدّاخليّة والخارجيّة.يتحدّى القدر ويتحدّى العوائق الكامنة في نفسه. عندما أحسّ أنّـــه يمكن أن يكون ذاته المقصود بالبحث. حتّى النّهاية حتّى صار فعله تامّا.

فلو تراجع أوديب مثلا، ما كان ليبلغ مرتبة البطل المأساوي. ثمّ إنّ طبيعة الفعل التّـــام تجعل البطل المأساوي دائما يـــدرك غايتـــه ليكون الفعل تاما. فالبطل المأساوي لا يعني نفسه كثيرا. بنتائج فعله فالمهمّ عنده هـــو الفعل و أن كان ذلك تمرّدا على الآلهـــة أو على الذّات نفسها.

و البطل المأساوي لا يستسلم أبدا. وهو مـا يجعله حرّا و مسؤولا. فهو العـــامل بمبـــدأ **"كلّ شيء أو لا شيء" و"أن أكـــون أو أكـــون"** ولعلّ الصّـــورة تكـــون أكـــثر وضوحًا مع غيلان المســـعدي في السّـــرد وبالتحديد يمكن التّذكير بجملة التكيات الّتي وقفت حاجزا أمام مسيرة غيلان. و لكـــن هذا الأخير كان في كلّ مرّة ينهض مـــن جديد إلى أن بلغ هدفه ألا وهو بناء السدّ.

لكنّ المسعدي في السّد والحكيم في الملك أوديب ; اعتبر كلّ واحد منـــها عملـــه : مسرحا ذهنيّا، يعني أنّ تـــدوّر أحداثـــه في الذّهن و ليس على الرّكح. ولعلّـــه المـــبرّر الوحيد الّذي يضمن الهروب من شـــروط المسرح الكلاسيكي.

وأخيرا فإنّ الغاية الأساسيّة من هذا العمـــل ليس التّذكير بقضايا النّـــص المســـرحي أو إثارتها وإنّما أن نشير إلى أهميّة المصطلـــح النّقدي في شرح النّص المسرحي أو التّعامل معه. فمن الأجدر **أن نحترم** هذه القواعـــد المنجيّة التي أرساها أرسطو **ونعني** المرحلـــة التّحريبيّة الّتي تلته.

والمرحلتان لا تتعارضـــان مـــع توظيـــف المصطلح المسرحي مـــن قبيـــل (الحـــدث المســـرحي- والبطـــل الـــتراجيدي أو المأســـاوي- والأزمـــة- والصـــــراع- والانفراج-و اللغة المسرحية-و المشـــهد- والمنظر- والتوتر- والدرامـــا- والزمـــان- والمكان...) كل هـــذه المصطلحـــات في علاقتها بالمدلولات المسرحية. و ليـــس أن نسقط مقومـــات قصصيـــة علـــى نـــص مسرحي. ونظل نبرر ذلك بمبررات لم يفلح السابقون في إقناعنا بها شأن شرح متى بـــن يونس أو ابن رشد لكتـــاب فـــن الشـــعر بمقومات شعرية./.

في الأعداد القادمة

- " رائحة العنبر " ..... لـــسيرة الرزقـــي
- أحاديث العذابات والتوابت ..... طـــارق العمراوي
- رشيد الذوادي./ وفن كتابة السير ..... حســـني سيد لبيب
- باريس عاصمة النور والنار في حياته :

الوليمة المنقلة.. سيرة حياة أرنست همنجواي !! ..... خالد محمد غازي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حوار مع الأستاذ الباحث : الحبيب كريم

أجرى الحوار : محمّد العائش القوتي

س 1/ : بطاقة تعريف الأستاذ البـــاحث الحبيب كريّم ؟

ج 1/ : ولدت بالمهديّـــة ســـنة 1936م المنطقة الأثريّة برج الرّئيس، متزوّج ولي مـــن الأولاد ثلاثة، جمال طبيـــب في أمـــراض النّساء أستاذ مساعد ونضال عمي و محمّـــد أمجد بحاز في المحاسبات بالبنوك والمؤسسات تحصّلت على الشّهادة الإبتدائيّة المدرسيّة العربيّة الفرنسيّة وانتقلت إلى الفرع الزّيتوني و تحصّلت على الأهليّة العصريّة فـــانتقلت إلى تونس العاصمة بمعـــهد بـــن عبـــد الله الثانوي بالصبّاغين ومنه فـــازت بشـــهادة التّحصيل في الفلسفة ثمّ التحقت بالجامعـــة التّونسيّة جامعة 9 أفريل و دخلت كلّيـــة الآداب و العلوم الإنسانيّة و كلّيّة الحقـــوق فانقطعت عن الثّانيّة بسبب عدم الجمع بين كليتـــين وتحصّلـــت علـــى الإجـــازة في الدّراسات الأدبيّة و اللّغويّـــة و بـــدأت في تحضير شهادة الدّراسات المعمّقة D E A مع الأستاذ الحمزاوي وذلك بتحقيق كتاب **"الغريب المصنّف لابن عبيّـــد"** و نظـــرا لأسباب صحيّة ومادّيّة انقطعت و بدأت في التّدريس أوّلا في معهد بحاز الباب و معـــهد باب الخضراء بتونس العاصمة حيث قضيت 18 سنة ثمّ المهديّة و في الخـــارج بدولـــة الكويـــت واليمـــن (1986م-1990م) وصدر لي من الكتب : **المهديّة في التّـــاريخ والمجتمـــع (1990م) والمهديّـــة زويلـــه (1997م) و قصّة (رحلة عبيد الله المـــهدي من سليمة إلى المهديّة (1998م) وقصّـــة القائم بأمر الله وثورة صـــاحب الحمـــار (1999م) ولي تحت الطّبع كتاب المهديّـــة العاصمة العربيّة الإسلاميّة الثالثة** وأشـــارك في النّدوات الفكريّة والأدبيّـــة والتّاريخيّـــة وأقوم ببعض المحاضرات وعضـــو باتّحـــاد الكتّاب التونسيين و أمين مال فرع المهديّة.

س 2/ : رحلتك في الشّـــعر التونســـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاصة و الأدب التونسي عامة ؟

ج 2/ : بدأت بمحاولات شعرية ببعض الأبيات والمقطوعات الشعرية القليلة في الغزل والطبيعة والوطن مقلدا في ذلك الشاعر التونسي الكبير أبا القاسم الشابي الذي تعلقت به كثيرا منذ طفولتي لأن هذا الشاعر ليس كبقية الشعراء وكنت أميل أيضا إلى إلياس أبي شبكة وأبي العلاء المعري والمتنبي ومعروف الرصافي وغيرهم كثير ... وكنت أطالع مصطفى لطفي المنفلوطي و علي الجارم بك و جرجي زيدان و غيرهم ... وبعد ذلك طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وأحمد أمين والعقاد و نجيب محفوظ والزيات ومحمد حسين هيكل ... ومن التونسيين محمود المسعدي ... وليس لدينا الآن من الأدب التونسي الجيد إلا القليل و لم يزدهر الأدب التونسي إلا في بعض الفترات التاريخية كفترة الدولة الفاطمية العربية الإسلامية نذكر مؤلفات القاضي النعمان كافتتاح الدعوة والمجالس والمسامرات وبعض القصائد كالتي هي للقائد بأمر الله أبي عبيد الله المهدي و ابن هاني شاعر المعز لدين الله وعلي الحصري وغيرهم ...

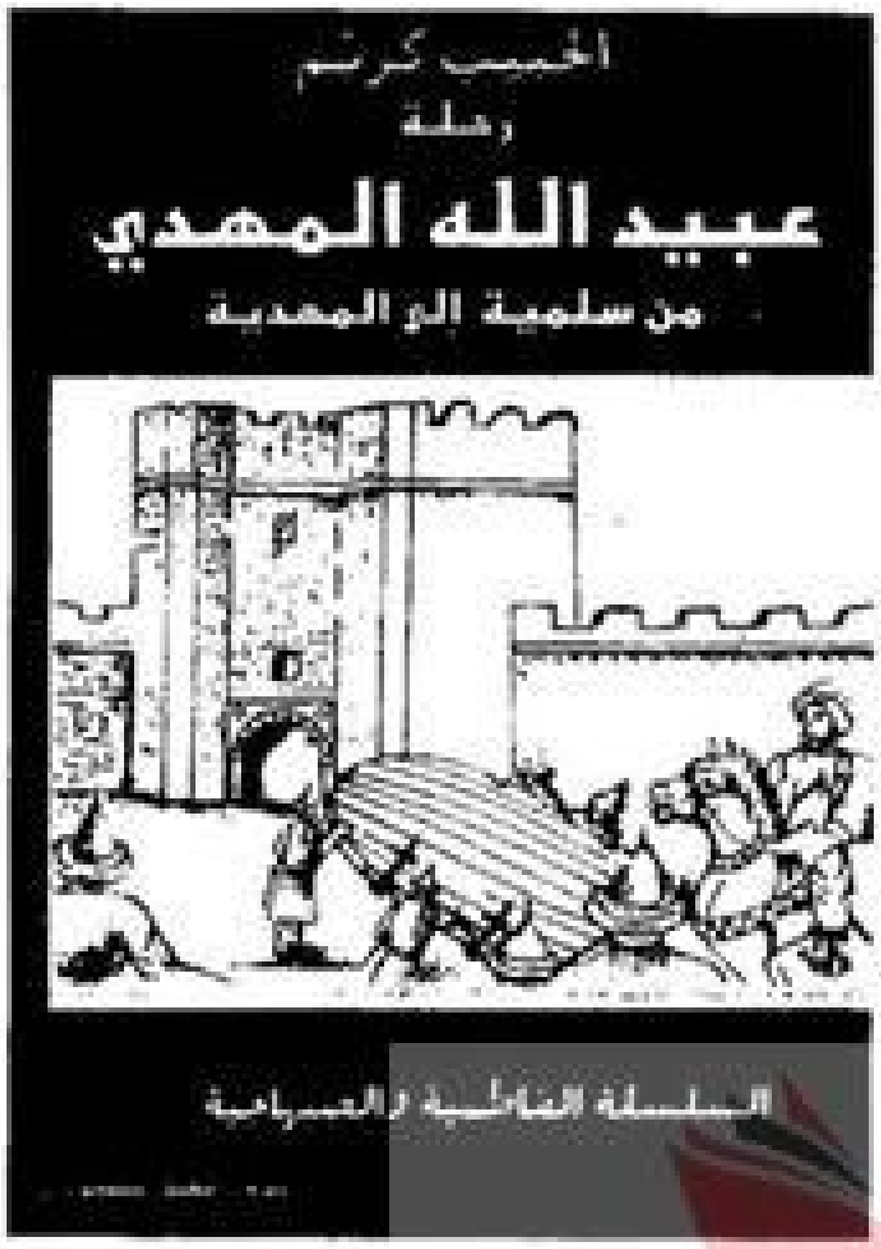
س 3/ : يفتقر الشعر التونسي والعربي الحديث للغنائية ويفرق في الغموض وهذا يحيل إلى قطيعة مع المتلقي كيف تنظر إلى ذلك عبر تجاربك وعبر رصدك لشعراء آخرين وماهي أهمية الغنائية في الشعر التونسي والعربي الحديث ؟.

ج 3/ : إن الغنائية في الشعر العربي الحديث بمثابة الروح للجسد وهي العمود الفقري له، فالإيقاع والإيحاء والصورة هي العناصر المكونة للشعر العربي الحديث وبدونها لا يمكن أن يسمى شعرا. أما بالنسبة للشعر التونسي الحديث صحيح يفتقر كثيرا إلى الغنائية وذلك يعود إلى ضعف اللغة وعدم التمكن منها والتراكمات التاريخية، وحضرت محاضرة في المسرح البلدي بتونس العاصمة للأستاذ بلاشير المستشرق الفرنسي المعروف باللغة العربية لا فقال : مهما تكن قيمة المحاضرة فإني أفتقر إلى الحسن اللغوي لأن اللغة العربية لم تكن لغتي، إذن فارتباط اللغة بالمعنى كارتباط الجسد بالروح، وأما الغموض فإنه وليد فقدان الغنائية فيه لوجود التكلف في ضيع الإيقاع وإملاء الفراغات فالغنائية هي الصياغة الفنية

للقصيد وآخر أساسي لاغنى عنه وللغنائية صلة متينة بشاعرية الشاعر الأصيل.

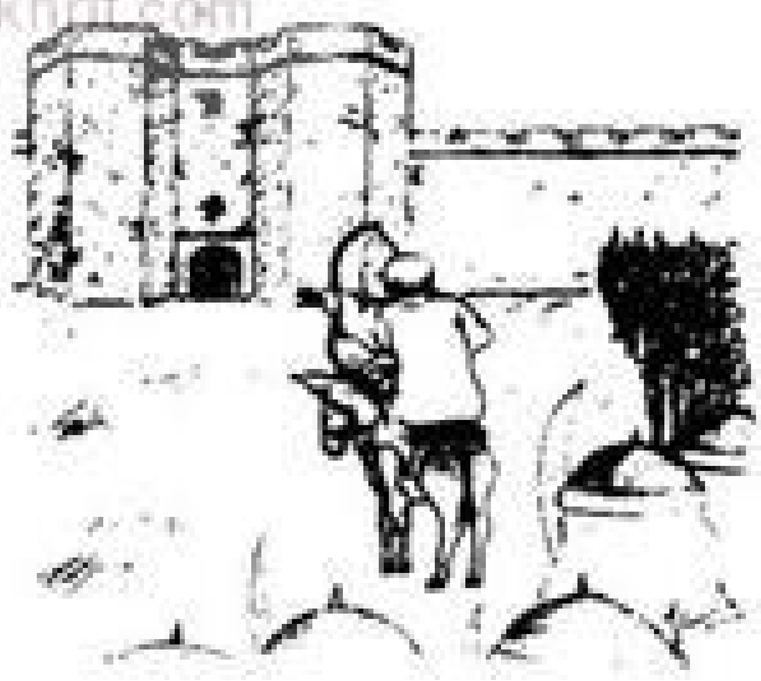
س 4/ : هناك بعض الشعراء يتعمدون الغموض ويرون في ذلك تمايزا، ألا ترى أن ذلك يمكن أن يحيل إلى قطيعة حتى مع النخبة ؟

ج 4/ : هناك بعض الشعراء يتعمدون الغموض في الشعر ونجد هذا في الغالب عند شعراء الشعر الحديث فهولاء الشعراء



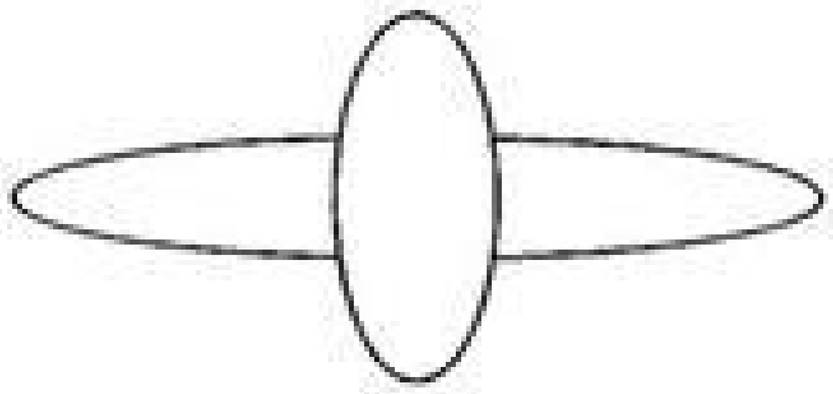
الاستاذ الحبيب كريم

القائم بأمر الله وثورة صاحب الحمار



السلسلة القاطنية والعسكرية بالمهدية

يرون في ذلك الغموض تمايزا وهو غير صحيح لأنه يبعده عن ركائز الشعر التي هي الوزن والإيقاع والإيحاء والنغمة والغنائية والصورة التي توفرت عند الشعراء الفحول كالمتنبي و عبد الجبار بن محمد بن المصري وابن هاني وعلي الحصري، ويتسبب في القطيعة بينه وبين النخبة التي ترفض ذلك.



كتاب واحة الفكر (ألوان ثقافيّة)

بقلم : محمّد البدوي

عن المطبعة الثّقافيّة بحمام الأنف، صدر كتاب واحة الفكـــر، (ألـــوان ثقافيّة في الحضارة والتّاريخ والتّراث)، للكتاب التّونسي المؤرّخ والمربّي محمّد الصّادق عبد اللّطيف في 230 صفحـــة قياس 21*15سم. صمّم غلافه وخـــط عنوانه الفنّان الخطّاط الألمعي عمـــر الجمني، الّذي أبدع حين جمع بـــين الكتابـــة القديمة والآثـــار والخـــط الحديث، فكان متكاملا يفصح عـــن ذوق وملكة وتميّز.

هذا الكتاب، صدرّه صاحبه بمداخلـــة قيّمة تحليليّة، وردت من مصر بقلـــم الدّكتور محمّد عبد المنعم خفـــاجي، الّذي غـــاص وبعمـــق في محتـــوى الكتاب محلّلا بنماذج من فصوله، قدّم الكـــاتب والكتـــاب معا، فكـــان هديّة من قلم مصري يعشق تونـــس وأهلها وأدباءها، إلى صاحب هـــذا الأثر الصّديق محمّد الصّـــادق عبـــد اللّطيف.

الكتاب، هذا الأثر الّذي زيّن المكتبـــة التونسيّة، طبعه صاحبه على نفقتـــه الخاصة، وهي المرّة الثالثة الّتي يقـــدم فيها على مثل هذا العمل.

والكتاب اشتمل إلى أبواب رئيســـيّة وهي :

* **أوّلا** : في التّاريخ الثّقافي لتونـــس، تحت هذا الباب نقرأ الفصول التّاليّة:

- جذور الفكر الإصلاحي في تونس
- الإستشراق
- الرباطات
- أسبيس مدينة خرّبها الرّومان
- المؤتمر الأفخرستي حملة صليبيّـــة

على تونس
- الديوان

* **ثانيا** : حول المصحف الشـــريف، نقرأ الفصول التالية :

-تاريخ المصحـــف بتونـــس مـــن المخطوط إلى المطبوع
- دخول المصحف الشريف لتونس.
- الأختام القرآنية.

* **ثالثا** : تحت الخط العربي، نطـــالع المجالات التالية :

- الـــخط القيرواني حلقة حضاريـة بين المشرق والمغرب.
- الكتابة الخطية في المراقد العثمانية.
- المدرسة التونسية في الخط.

والكتاب كما ترى متنوع المحتـــوى غزير المادة نشرت بعض فصولـــه في بعض المجلات التونسية والبعض الآخر شارك بها صاحبنا في بعض النـــدوات العربية والمحلية وما نفهم مـــن هـــذا التنوع هو أن صاحبها أراد جمعـــها لتكون في متناول الباحثين عوضـــا أن تظل متفرقة في مجـــلات وصحـــف

شرقية و تونسية ومغربية فكان الخـــير ما أراد.

إن القراءة في هذا الكتـــاب تجعلنـــا واثقين بأن ثقافتنا وتنوع مســـالكها قادرة على اختراق الآفاق لو قدر لهـــا أن تخرج من الرفوف الجامدة لكـــان للتاريخ الثقافي التونسي نكهة أخـــرى بما يحتويه المخزون من ثراء وتنـــوع وتفرد.

الكتاب يجمع بين المادة العلمية الصلبة في مراوحة بين الحضارة والفن والخط والجماليات، وبقدر ما أسعدنا هـــذا الإصدار الجديد من صديقنـــا عبـــد اللطيـــف، فإننا نهمس له بكل لـــين، أن يعيد النظر في كتابيـــه الأولـــين (إطلالة على تاريخ قليبية في العـــهد الحسيني الصادر ســـنة 1998 وقليبيـــة مدينـــة تروي قصة التاريخ الصـــادر سنـــة 1999 وأن يجمعهما في ســـفر واحد تكملة للفائدة خاصة وأن هـــذه الصائفة شهدت تساؤلا كبيرا مـــن الضيوف ومن أهل البلد عن كتـــاب

حول قليبيّة، و قد نفدت الطبعتان.

إنّنا نهنّئ صديقنا محمّد الصّادق على هذا الإصرار وعلى هذا الحضور الميداني في معمعة إنتاج الكتاب.

ولقد علمت أنّه أجّل ما وعد به في غلاف كتابه هذا وهو إصدار كتاب (من تجلّيات الخطّ العربي في تونس) وقد عوّضه بآخر اختار له العنوان التّالي (قطاف الأيام) وتمّ جمع مادته وهو جاهز للطّبع، مادته في الأصل مقالات صدر أغلبها في مجلّة الإتحاف في سليانة وفي السّعوديّة وفي المغرب وفي تونس أيضا. نتمنّى لكلّ هذا ولصاحب هذا طول العمر والعافيّة لمزيد المساهمة الصّادقة في الحقل الثّقافي، وقد عرف في جيله وفي بلدة معنى تعلّقه بهذا المجال وخاصة التّاريخي، وقد كسبنا بإنتاجه أثرا ورجلا سيخلدهما التّاريخ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأعداد القادمة

- على نخب التّقاعد..... شعر: محمّد السويسي
- نصيحة للطّغاة..... شعر: إدريس آل قبع
- فتاة العرب ..... شعر: نجاة الورغي
- أحلام ذات امرأة ..... شعر: عبد الكريم عبد الرّحيم
- الرقص مع الوردة..... شعر: عبد الرّزاق بوكبّة
- جدّي والأربعون حرامي..... شعر: ح.م.ك. الخفاجي
- أنثى الخريف..... شعر: جلال باباي
- أيقونة الشّعراء..... مختار المومني

في ظلال "على أرصفة لا تبالي"

بقلم : الصّحبي العلوي

مرّة أخرى تعانق أنفاسُ مدينة جندوبة مملكة الشّعر لتقترح إعادة بعض أنظمة السّير الّتي أرهقتها أتربةُ القوافل وضجيجُ الخانات.

وتعلن على أرصفة لا تبالي صورةً أخرى عن تضاريس المدينة عندما تتسلّل إليها أنغام الخريف القديمة فتستيقظ مسامع الأنام الّتي تعطّلت لاقطاها منذ طحنت الأرصفة عجلات "الجوتابل"

يملّ الخريفُ فيحزمُ بائعُ الجرائد كتبَ الكلماتِ وتضطربُ سيقانُه المعرّات وهو ينسج خيوطَ "موكات" المدينة بعدما حمّضتْها أشعّةُ الشّمس بشكول من الأصواتِ والظّلالِ تتوجّعُ القطارات القادمة من بعيد تحت رذاذ أبخرة المدينة فتعبق المحطّات بأنظمة الوجع وتمسّ الشّقاء بآخر نبضاتِ القلب.

هي أنفاسٌ مضرّجةٌ بأماسي المقهى الرّتيبة وسكون الشّوارع على أرصفةٍ لا تبالي بأحذيّة العابرين تمتدّ القامات توسّلاً أو سخطًا حزناً أو فرحا وتتسارع الخطى وتتصبّب الرّؤية. الأرصفة تستمدّ مراجعها من كلماتٍ تطاردُ وقع إمرأةٍ تمتدّ من الحصنِ الحنونِ إلى العيونِ العسليّةِ تغسلُ القلبَ من أدرانِ التّشقّقِ والكدر. مطاردة متوحّشة بين الأرصفة والخيالاتِ تحدوها أنغامٌ محدّبةٌ من خريفِ النّهودُ إلى حرارة كؤوس الحانةِ اليائسة.

مجموعة من المشاهدِ أوحتها حالاتٌ احتدمتْ في صدرِ الشّاعرِ ففاضت بها أنفاسٌ حرّى أردفها كلمات على دفتر الأيام المنسابِ تفاصيلِ الوجود فإذا العناوين تترى "عناق-وداع-ذهول-حلم-فطلقات"

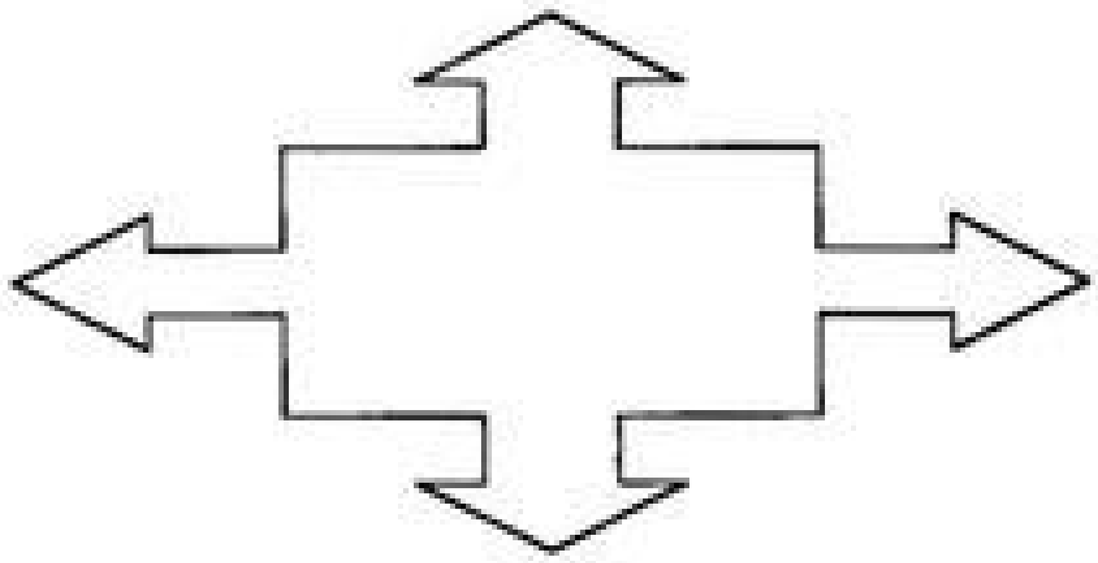
كلُّ ذلك كمٌّ من الشّعورِ مسربلٌ بألوانِ التّجربةِ الشّخصيّة في مقاساتها محدودةٌ بحدودِ مسافاتها. إنّها صورٌ ترسُمُ زخاتٍ من النّشوةِ السّريعةِ والمذاقاتِ المشهيةِ في لحظتها ثمّ تُبتلعُ الأخيلةُ في فضاءِ الوُجودِ فلا تجدُ لتلكَ الرّسُوماتِ من أصداءٍ سوى رنينٍ منْ بقايا مذاقٍ ينحسرُ عند أوّل

لقاء بتضاريس الحياة الوجدانية. كل ذلك بسبب فقدان النصوص للغائية الواضحة والمقاصد الجامعة لشتات الصور وإيقاع الألفاظ المتناثر لأنها تتخذ من الحالة مرجعية دون أن تؤسس لضوابط تشكل رسما ضروريا لا تعتمد الحالة إلا بتوفره حتى لا تصير الحالة مركبا قصيرا يعلوه كل ناعق. على أنقاض هذه النوعية من القصائد يلوح بريق بعض النصوص الأخرى "تراتيل الشرق" ص 21 "إنها المرثية" ص 26 "في زمن الشعر" وهي النصوص التي لا مست مجموعة من المسافات الطويلة وإن كان ذلك عبر الإشارة كما في قوله "انقلب نحن إلى عروبته" أو "كم عربي على هذا الوجه" وإن كانت ملفوفة في عباءة الرقة والسيرة الشخصية فقط تبقى قصيدة زمن الشعر موقفا من مسار الشعر الذي رغب عنه الشاعر نحو عملات لا تقبل الشطب و التزييف كما هو حال أغلب العملات المرسلة بين دفات الجرائد والمجموعات السريعة.

لقد توسلت في هذه الكلمات باب النقدالذي يعتمد قول الجاحظ "راجع كتابك على أنك عدو له" أو ما في معناه.

وإن كان النقد لا يليق توجيهه إلى الأحلاء إلا أن ضرورة التنبيه إلى عثرات المسار تفرض بعض الصرامة في معالجة المقروء حتى تكون مؤانسات بعيدة عن "تيويس اللحى" واقترابا وإن ببطء من مدارات الإبداع لا تفصلنا عنه كثير من المراحل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



رأي نقدي:

نساء سيّدات أنفسهنّ في كتاب :

"الرّحيل عن مدن الهزائم" لخالد محمّد غازي

بقلم : د. محمّد أمنصور

الغرب

أتيحت لي فرصة الإطّلاع على عمل الأستاذ خالد محمّد غازي الّذي يحمل عنوان "**الرّحيل عن مدن الهزائم**" وهو عبارة عن مجموعة قصصيّة.. ومن خلال الوقوف على لائحة إصدارات المؤلّف، يدهش المرء لتنوّع اهتمامات الرّجل الّتي ألّف فيها كتبا ودراسات، وبهذا المعنى فإنّ الأستاذ خالد محمّد غازي يملك بالإضافة إلى موهبة القصّ مواهب أخرى تتوزّع بين العمل الصّحفي والعمل العلمي، الوثائقي والأدبي.تضمّ قصص "**الرّحيل عن مدن الهزائم**" 24 قصّة قصيرة يمكن إعتبارها بمثابة تنويع سردي على موضوع الحبّ، والحبّ المستحيل تحديدا الّذي قد يصل إلى درجة القتل(قصّ مع سبق الإصرار والترصّد)، ورغم تنوّع الحالات والمواقف، فإنّنا نجد كلّ القصص مكتوبة بضمير المتكلّم، وفي حالات نادرة ضمير المخاطب، وهو ما يقوّي البعد الذّاتي – العاطفي، ويجعل من الذّات العاشقة المسرح الوحيد للأحداث الّتي لا تعدو أن تكون لقاء غراميّا متحقّقا بالفعل أو منشودا .. وكأنّ القاص في رؤيته للعالم يختزل كلّ متاعب الوجود ومصاعبه في "**لحظة التوحد**" الصّعبة أو شبه المستحيلة بين الرّجل والمرأة .. ولعلّه أمر ملفت إلى حدّ بعيد، تلك الصّورة الإيجابيّة للمرأة – الأنثى في قصص غازي، فهي المرأة الحلم، وهي المرأة الأمان، وهي الشقّ الثاني الّذي يتوحّد مع الرّجل، بل إنّ عواطفها ناضجة و ليست ملحقة بالرّجل لأنّها تأخذ بزمام مصيرها وتقرّر بنفسها إن كانت ترغب أو لا، في هذا الرّجل أو ذاك، إنّ نساء غازي سيّدات أنفسهنّ، وهن يقبلن الحبّ أو

برفضه بمحض إرادتهن، وليس الرجل معهن سيدا أو وهم سيد، وهذا يحسب لهذه المجموعة القصصية التي تجعل من المرأة سيدة عواطفها ومشاعرها. فالسارد في مختلف أقنعته لا ينحاز إلى الرجل ليغلب إرادته على إرادة المرأة، أو سلطته على سلطاتها، إذ لا سلطة في العلاقة بينهما إلا سلطة الحب، وحتى عندما يقتل الرجل المرأة فهو لا يفعل ذلك إلا لأنه يحبها :

" قال القاضي بحزم :

– أنت تعترف إذن بقتل زوجتك ؟

أجاب باصرار :

– نعم ...

قال القاضي :

– لقد قلت في التحقيق إنك قتلتها لأنك تحبها ... ما معنى هذا ؟

أجاب :

– معناه لا يفهمه أمثالكم... وإذا شرحته لكم لن تفهموه!

ارتفع اللغط في قاعة المحكمة...

سأله القاضي : هل معك من يدافع عنك ؟

أشار بإبهامه إلى اللاشيء وقال : نعم ... ستدافع هي عني " (ص 107)

لعل ما يثير في قصص خالد محمد غازي فتوة عواطفها، واشتعال حالاتها بمواقف الحب ولوعة العشق في تعدد مراياه، اللغة شفافة لدرجة لا تصدق، والجمل –عموما– قصيرة ومركزة.

لا وصف لملامح وجوه الشخصيات أو هيآتها الخارجية، الأمكنة نفسها موثثة بالصمت، وفي المقابل، هناك الحوار ولغة النجوم أو المفاجأة الداخلية وبوح الرسائل. كتابة تمنح روحها من عمر الشباب. أشواق واستيهامات. مواقف عابرة وحواريات تتراوح بين الاعتراف والبحث الضمني في الكلام عن مستقر للنفس التائهة، ودائما أو غالبا، هناك رجل وامرأة. ذكر وأنثى. بحث دائم عن تواصل ممتنع. هي تتحرر من ثقل البلاغة، وسلطة المرجع الخارجي، و حل موثثات فضائها كلام في الحب، عن الحب وبحث عن لغة قصصية تعيد لمشاعر الإنسان كل وهجها.

وإذا كان العنوان يتحدث عن هزائم يتم الرحيل عنها، فلعل الرحيل الأساسي في هذا الكتاب هو تلك الرغبة المحمومة في هجر الوحدة والسعي الحثيث إلى استبدالها بالتوحيد، وكأن خالد محمد غازي يقول لنا إن الهزيمة الوحيدة التي يمكن أن يمنى بها الإنسان، هي هزيمة إنعدام التواصل بين الرجل و المرأة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحيّة إلى الشّاعر عبد السّلام لصيلع

في أمسيّة : مع فاطمة الخضراء

شعر : الرّحمان الكبلوطي

تحدّيتَ الزّمان بجاهد الذكرا

وبعد العسر جاءت "فاطمة الخضرا"

قصائد ساخنات في حماس جمال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى الوطن الحبيب غاليها ونفيسها

إلى الأمّ الرؤوم مدينة كبرى

إلى البنين، والزوج التي تشتهى

ليرتفع الأديب، يسابق النسرا

تحدّيتَ الزّمان مقاومًا دومًا،

وحلوا قد طعمت كفاحك المرّا

وكنت لكلّ مظلوم مرجًى سندا

وفي صدق بكيت (محمد الدرة)



مازلت أراك يا فاطمة الخضراء
فلاحة رابحة من الجنوب
واحدة تسابقين الريح
تتحدين الصعب
تناضلين
وتحيين الفقراء.

عبدالسلام لصيلع

وتجدت العروبة في أصالتها
مع الشعراء كنت تقاوم القهرا
ARCHIVE
مع الأحرار كنت تثور في نجم
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكنت تمجد الثوار والثورة

وتكتب عن بلادك خير أشعار

وتفرح إذ حباها ربنا نصرا

بلاد البذل والتغيير تهواها

بلاد النخل والزيتون والخضرة

فما أحلى كلامك يا مسامرنا

ألا زدنا، أخي، بمجموعة أخرى.

أيقـــونـــة الشـــعـــراء

شعر مختار المومني

إلى كل الشعراء

- محمد العروسي المطوي

في طريق المعصرة
تونك المر
حلو المذاق
اشهى حليمة
فرحة الحياة

- منصف المزغني

آهل بالرحيل
زاده حبان
من عناقيد الفرح

- الغربي المسلمي

إيه.. صالح
مفرد شبه قلبي
وهذا الحرف أخضر
أزهر اليوم بين الخمائل
فرحة
في وطن العدن والارخبيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- سوف عيد

ذوارة الملح

أزهرت في الجرح

وارتوت

من صديد الروح

يا لهذا الفتى!

سادر في النشيد

قد تغنى بذلك الجناح

خارج سرب بروح

نحو نبع وحيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- زبيدة بشير

يا لهذا الحنين

عاصف

حارق

مثل ريح السموم

مورد عتلنا

نحو نهر الجنون

- يوسف رزوقة

ضاع اسطر لاب يوسف

في الأرخبيل

ذات صباح

وقد فاجأته الذئاب
في العبارة
والكلمات
وكان يهندس برنامج الوردة
إيه يوسف
أمتاز عليك بحزني
وهذي بلاد ما بين اليدين
نزجر عاشقتها
فاسرج جوادك
وارحل
• محي الدين عريف
ياسيد العاشقين
مكتب حضور
وياحامل المصابيح
موحش ليلك
وها أنت ضائع
بين الساعيات
والبدايات
والنهايات
ترتق أفق السماء
في ليل الغرباء
داخل سجن الكلمات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رذاذات الوجه المتنحفي

حارث حمزة الخفاجي العراق

كما ترين
فقد استبيح كل شئ
الانتظارات
و أنت
وكل جدوى
ثمة فمن يجتث الساعات من عقاربها

• •

أمازلت ترتقه
كان يجثو عند أول الزقاقه
يرقب الضوء البعيد
إذ لا يقوى على الاقتراب

• •

ذيال الرذاذ
حيث يخترق وجه العتمه
على وجهك المتنحفي
إذ يبحث ....
فناجين العرافات
وزوايا الطرقات
يخترق النعاسات
كما هو الحبر الأسود على العلامات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بتـــول

جمال خضير الجبابي
– العراق –

كفاك ..
عزفاً على أوتاري ..
ما عدتُ ..
كما كنتُ ..
أغسلُ حلمي .. بأوهام أوجاعي ..
كفاك ..
رقصاً على رجفي ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*** *** ***

سامحيني ..
لم تعد كلماتي التي ترحف ..
فوق شغاف القلب ..
تهجئ اسمكِ ..
بل صارت لعنتي ..

*** *** ***

سامحيني .. لأنني حين أتهجى ..
اسمكِ ..
تحترق شفتي ..
تغتص دمعتي ..

كيف لي أن أحبّك ؟



شعر : محجوبة الخلاصي

كيف لي أن أحبكَ
و أنا الجريحة
من الحلم إلى الحلم
حراس بابك
أوصدوا الروح
و أمروني بالرحيل
أعلموا أن حبك
مستحيل ؟

* * *

أرهقتني أشواقي
إليك ... يا أنتَ
و العيون تترصد
خطواتي ..
وحنيني يستعجل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقاك . . . في السيل

إليك مكتظ

بالارهاقات . . .

و الوجوه أربكت

وجهي . . .

أبعدوك قالوا

رحل . . . هناك

لأنني لا تشبهك

مكتبة مكتظة
ARCHIVE
قاسيون رحيلك
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث الخراب

المنتظر . . .

خذي أحلامك

و أمانياتك

ذاك حريقك

فاحترقي . . .

و لا تذكري أنك

أحببته ذات حلم /.

وتعطّلت لغة الرّعاة

شعر : سمر فيمش

سقطت. . .فهذا الليل منسوج بضيق. . .فلا شراع

ولا جنا برف في هذا الخريف

ولا حفيف. . .

سقط الشراع على الشراع

سقطت ذوابات النخيل على النخيل

سقط. . .هذا الليل منسوج لأشباح قديمة

توقفت في السدائر

جفت ساريب الحياة

وتعطلت لغة الرعاة. . .

سقطت. . .

وأقفل بابك الشرقي يا قلب

ليندلع المجد على الفلاة

على بدايات التصدي والسقوط

لأراك مصلوبا على أسوار قلبي

من أين أعبر منك إلا إليك قلبي ؟

وبابنا ما زال مسدودا

من أين أهرب والدمر المسنوح في

ومن خلفي الخطى مسارعات

الليل حولي من نواسعه تكشر وعيد...

فهام خلف أبي نواس من الحلول إلى الرحيل

ومن الرحيل إلى الحلول والباب دونك موصدا

و إلى متى سنظل في عيني خطوبك أيها الباب القديم؟

الزوج مشروعة على "أرمل العصا" والسيف يقطر من حلي

وعيون جحفل خاصرني أراه إذ يضع العمامة بجز رأسي من

جديد يمتطف الرمح سيدها من جديد...

فإلى متى سنظل نزرع ما تقول الريح إن لاقت نخيل ؟؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrjt.com

التفيضة-سوسة.



الباب الخلفيّ للحياة

بقلم : زهرة حمدي

قد تلقيه وأنت مارٌّ في الطّريق البعيد أو أثناء النّوم : فرنين جرس درّاجته لا يكفّ عن ردّ التحيّة صباحا باكرا إذا استعصى ردّها باليد. قد تراه يعبر هنا وهناك و لا يراك، بل لا يرى الآخرين لأنّه يمضي في سبيله مسرعا متأبّطا أدواته البسيطة إلى حيث تنتظره شؤونه الصّغيرة هناك في القرية الصّغيرة، يوجد دكّانه : فضاء صغير يختزن ذكريات كثيرة وأنشطة أكثر. يفتحه و معه ينفتح باب الرّزق ... في اليوم، تفد إليه عشرات الوسائل لإصلاحها أو شحذها أو تقويم اعوجاجها. ذاك هو "عمّ التّيجاني" الرّجل الطّيّب الّذي يحمل معه دائما اسم اللّه كما يحمل مفتاح دكّانه ... ببشاشة يلتقي زوّاره سائلا إيّاهم عن الحال والأحوال، وتفاصيل الحياة، يقصّ عليهم بعض النّكات ويستمع إليهم وبداه لا تكفّان العمل... في ركن من الدّكّان، يتناهى إلى مسمع الحاضرين، صوت مذياع يثير في الأنفس النّشاط والإقبال على الحياة... لا أحد يستطيع وصفه آنذاك وهو يبدو منتشيا فرحا بعمله، بدنياه الصّغيرة، ينظر إلى الغد بعيون ورديّة لا تلوّنها شكوك الغبن الممتزج بالخوف من فقدان الثّروة.. ينام هنيئا في بيته المتوازن مع أسرته السّعيدة.

لحظة غامرة ليست معجونة بأدران الضّجيج وزفرات المركبات وصخب السّيّارات المجنونة الّتي تنهب الأرض نهبا وراء صراع الحياة : كلّ شيء يمضي في صراع مع الحياة يراها عدوّه، لأنّها لا تعطيه الثّروة بيسر، لأنّه هو فيأتيها حذلان، مطمئنّا إذ ليس هناك ما يخاف فقدانه ولا يترقّب مجيئه : كلّ شيء يأتي في أوانه : كثيرا أو قليلا : المهمّ قناعة ورضى وراحة بال... "عم التيجاني"، هل حضرت السّكين ؟ وأين ذاك السّاطور،

اليوم لنا زفّة كبرى وسنذبح الخرفان ولك منّا دعوة للحضور ؟ ". على الجدار الأبيض، امتدّت سلسلة طويلة من الوسائل الجاهزة : إصلاحا أو تقويما أو شحذا، صفّفها "عمّ الشيحاني" تسهيلا لعمله وتنظيما لشؤونه بقطعة قماش نظيفة، يزيل عنها ما علق بها من غبار ويمدّها للزّائر المنتظر : " تفضّل هذه أدواتك، ودامت الأفراح...". تسيل دعوات الرّجل سلسبيلا من فيه، يتأهّب للخروج بعد أن ينقده ويلحّ عليه في المجيء... هكذا تمرّ حياة "عم الشيحاني" سلسلة من الواجبات اليوميّة يؤدّيها و لا من أحلامه: صحّة جيّدة، أطفالٌ يكبرون في عزّة وزوجة مطيعة تحمل معه إحدى أذنيْ : "قفّة الحياة ". أحلامه هي واقعه الّذي يعيش به وله. تزغرد في عينيه الفرحة حين يهبّ إليه صغاره لحظة مجيئه صائحين : "بابا جا، بابا جا..."

يشبّ أحدهم على ركبتيه و يظلّ ممسكا بهما و كأنّه يمسك جذع شجرة الحياة، و يتشبّث آخر بقميصه أو بإحدى الأماكن الخالية من أيدي إخوته بعد أن استعصى عليه إيجاد مكان منذ البداية، ومن الخلف، تتعلّق ابنته بتلابيب ثيابه تعلّق الغريق بحبل النّجاة... يستعصي عليه المشي، تنتابه لذّة غامرة، يرقص القلب طربا، تمتلئ رئتاه بهواء الطّفولة وعبير البراءة وهو يراهم يلتصقون به التصاق الرّاهب بأستار الكعبة فيحتو على ركبتيه موزّعا قبلاته بينهم : يحضن هذا ويلاطف ذاك وتتدفّق أنهار من الحنان تجري في فؤاده سيولا جارفة. يظلّ للحظات يسائلُ نفسه: إلاهي، من أنا دونهم؟ من هم دوني ؟ ما الحياةُ دون ضحكاتهم الطفوليّة و شقاوتهم الصّبيانيّة ؟ إنها النّهاية و ... تنقطع لحظة التّيه بمقدم زوجته وهي ترفع عن يديه ما حمله، ينظر إليها مبتهجا وكأنّه يشكرها، يحسّها في تلك اللّحظة فراشة يودّ لو يحملها بين جوانحه، أغنية يردّدها لعينيها الحالمتين... قبسٌ من الشّوق يعتريه نحوها، يريد أن يشكرها عمل فيه و قلبه ... إنّها زوجته، أمّ صغاره وسيّدة بيته حين يدلف إليه تفوح منه روائح الأمومة وسحر الأمان: هو سرّهما الوحيد والهواء النّقيّ الّذي يتنفّسانه معا بلحظات عذابه وعذوبته...

دلف الأبُ إلى البيت يتبعه البقيّة كهودج يسير خلفه المحتفلون، صياح

وشدو بلابل وقفزات عصافير حالمة : يتقاسمون الأشياء بينهم قبل رؤيتها، يقف فيهم أخوهم الأكبر صائحا : كفى، أنا من سيتولى القسمة، دعوا هذا الأمر لي..." يتسرب صوت الصغرى متلعثما، دافعا الكلمات دفعا، تارة تقطع الألفاظ وطورا تجمعها كمتهم ينتظر الجميع شهادته، قالت وكأنها لاتصدق أنها ستتحدى أخاها وتقدم كلماتها : لا..لاتقسم أنت، ستسطو على قطعة الحلوى الكبرى وتترك لنا البقايا الصغيرة". "يتعالى صوت أخيها الأصغر مؤيدا، أي نعم لا تقسم أنت، دع أمر القسمة لأبي..."

"ويتفق الجميع على هذا الحل ويستعدون للحظة الحاسمة : لحظة توزيع قطع الحلوى بالعدل والقسطاس، كيتامى ينتظرون أن تمتد إليهم أيدي الرحمة..."

نهض باكرا كعادته، عانق رصيف الطريق وظل يسير بدراجته كالمعتاد. غير أنه كان يحس انقباضا، لا عهد له به.. إحساس غريب ينتابه و ينغص عليه سفرة الطريق!

اللهم، اجعله خيرا ... عند اقترابه من دكانه، لاحظ وجود لافتة مكتوب عليها : يتوقف عمل المحل سيقع هدمه .. لأنه في مكان ستنجز فيه مشاريع سكنية!! لم يصدق مارأى وما قرأ... تقدم رويدا ليلحظ وجود قطعة حديد سميكة، أحكمت غلق الباب، أدار وجهته نحو دراجته الرابضة في حزن و أردف قائلا في عبارات متقطعة : "ذاك هو الباب الخلفي للحياة."

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأعداد القادمة

- اليوم الأسود في حياة الحية.....قصة : عباس سليمان
- الزهور أجمل الزهو .....قصة : تعريب معز حلفاوي
- رقصة قلم.....قصة : منير كريستو
- أسفار الباب.....قصة : محمد القاسم علي

فيزيـــاء الحزن العميـــق

بقلم : قيس عمر

سندخـــل خارج أزمنة البوح. أنـــت ترى. وأنا أتكلّم

سأجلد لك الرّعاع والباطرة. و أنـــت قبل حجر الحكمة. سأرمي لـــك بـــرأس إتليل. فحاول أن تجعله يتوسّط مســـاطب الآلهة. وانتظر ماذا سيحصل لـــو حاولنـــا الخروج من أزمنة القرامطـــة والفيضـــاء والتعاويذ ....

خيانة تسقط إثر خيانة و اللّيل صـــب حاناته في كؤوس مملة. وهو يمارس المـــوت بطقوس الحشرجة. وجهه شاحب من عـــق السّنين وذكرياتـــه تمشط عـــورات ميناء دلون/ اللّيل مزيج من العفـــن والركـــب البربريّة والصّبح أمسى أنينا مغروسا في لثّـــة الزّمن.

الجســـد ثقيل الوزن يغـــوص في فيزيـــاء حزنه. السّاعة هـــي الحاديّـــة والعشـــرون ومازلت بـــين المقصلـــة حيـــث تقبيـــل الطاولات.و الصّليب حيث النّساء اللّـــواتي لا يجدن سوى حمل القذرات في أحســـادهنّ المكنزة/ماذا بعدها.

لم يبقَ سوى احتقان الوجع بدراهم تائـــه تنفق في عجلة الزّمن. الصّحراء معجونـــة بدماء القناديل وها أنت تحـــثّ السّـــير في باحة الصّوت المغلق. قلت إنّك ترقد في قبر عمقه عمق الجرح من أنت بحـــقّ الآلهـــة؟ المتقوقع على لا شيء لا أريـــد منـــك أن تشفـــق علي. لأنني أدركت هذه اللّحظـــة بأنّ المروحة تدور و الأزمنة متقّفة وأنـــت فقط السّائر في موتك البطيء / خيانة إثـــر خيانة والزّهور تبعـــث بروائـــح الأشـــلاء المبعثـــرة. تصرخ أن تمـــرق مـــن خلـــف الصّنوبر الأحدب، تحمل شـــعلة الخيانـــة تحاول أن تحرق نفسك و العالم لكن لا بـــدّ للعـــالم أن يحترق بعدك / خيانة إثر خيانـــة في الجسد تجعـــل منـــك رجـــلا مقتـــول الأحزان. قلت أيها الملغز كفاك صراخـــاً في عمـــر منقـــوب كحذائك هـــذا الّـــذي

طاف بين الكونغو وسرقسطة وباشطابيا./
الخيل جائعة تطوف أرجاء السّاعة وهي
تغنّي للصّرامة وجعا سرمديًّا، لغزك
داعر. كفاك تتنفّس رحيق الموت المتعفّن
وتقول الهدوءُ بَارِدٌ والصّبحُ قريبٌ، واحذرْ
عندما تمتطي صهوة الأحلام. والخيانة لا
تسقط أبدا في فعر مجهول ولكنّه جسدي
أنا. قلت أنّ حانة الأسود منذ ثلاثة
قرون أغلقت أبوابها من مملكة بابل
وأحلام كورش البنفسجيّة. وتخلّصت من
الأصحاب المثقلين بالتّعب والرّيح أخذت
تعصف فيها كالليل الموحش وهي
تغني بين ندفها. خيانة إثر خيانة وعروس
بابل رحلت مخلّفة وراءها همسوم عصفور
المدن وحتّى قاعات الرّقص في سرقسطه
على مساطب على مساطب الآلهة/
عندما رقص النيل ...
شاهدتك عندما نهضت من موتك وقلت
إنّك تفقد الجاذبيّة. لم تفقدها كليًا لأنّك
شرقي حتّى الجينات / شبقي متوسج.
بصقت في وجهي و قلت تشبث بعباءة
أمّك الدّبقة. لم تكن عباءة أمّي بل
كانت إشارة مرور أمثلها على مشارف
إقليعات. بكيت بصمت أبله / أمّي
ماتت عندما رقصتم فوق عظام أمواتكم

رقصة الوداع وأنت تملون بين أقدام
الجواري. تقدّمت نحوي وقلت لغز
موبوء بالحماقات.
إنّك لا تدرك معنى الفرح عندما يخون
لأنّ خيانته تجعلك تطوف في بلد يَسْكُنُهُ
مسافرون وأشباح. من كلّ المدن من
بابل و عيلام و من النّمرود كنت تعرف
إنّنا مهرولون في العدم السّحيق،
أيقنت بأنّ السّاعة هي تلك المرأة الّتي
تركع لزوجها/الخانة أغلقت أبوابها
وأخذت بالبكاء كراهب مغتصب في
معبد، قلت شاهدتك مرارًا وأنت تبكي
ونمرّ الذّكرى من أحمص قدميها متشبّثا
بأثدائها الّتي نشفت فيها ثورة الحليب
وصراخ شيوخها متوسّلا أن تغادر
هذا المنزل. لم أنكر ذلك؟ لكنّي لم أفعلها
منذ حملت الإنسانيّة حقائبها ومضت
بين الغيوم. خيانة إثر خيانة تجعل من المل
سوقا للألم المتضرّر، سالت دموع على
خدّك وأحرقت هذا الشّعر الأبيض. هل
تذكر عندما كنت تقبل تلك الكلمات
الملعونة وترتّل تعاويذا التّتنة وتحوّل أكياس
الرّمل / تحمل رؤوسًا مفصولة عن
أجسادها، أيقنت هذه اللّحظة بالذّات أنّ
المروحة لاَ تُستعمل للهواء فقط وإنّما

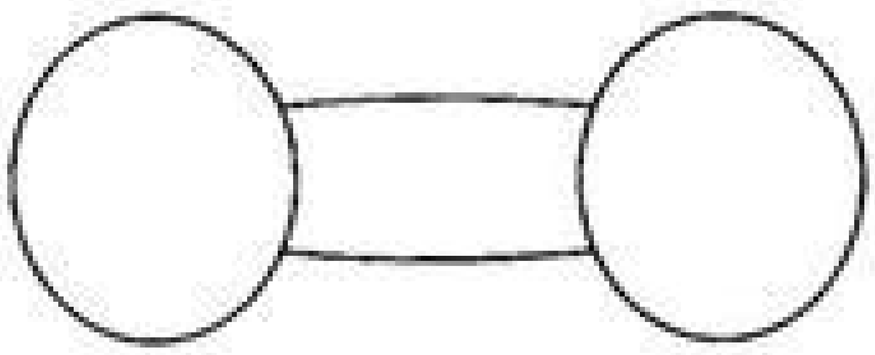
لوظائف أخرى كانوا يجيدون
استخدامها في الحبشة واقليمات الحديثة.
كنت تجهل ذلك قبل واحد وعشرين
عاما/ لم تكن واحدا وعشرين قرنا بل
واحدا وعشرين سنة ضوئية ونحن هائمون
على وجوهنا الشاحبة نحاول أن نمزج
الرمل بالزجاج ونحاول أن نخرج بابل
وعيلان من مدن الدم ونجعل الرعاع
والأباطرة والمحنثين الذين ازدحمت بهم
حانة الأسود. فشلنا لأنهما لا ينفصلان
قط. قبل اختفاء بابل وبعد ظهورها /
لأنها من عناصر التكوين المزوجة
بروحينا والأيام / الأيام تسير ببطء
شديد وأنت ما زلت نائما بين أحضان
التعاويذ والأكسجين الخانق الذي تذروه
الذكريات على مرمى البصر، قلت قد
يكون العمر كسولا مصحوبا بترنيمة
الوداع بين أقدام الجواري والحانات
القابعة في أسفل المدينة والغارقة في
الضجر، اليوم أيها السادة المخترمون حانة
الأسود فتحت أبوابها للصعاليك
الهاوين من قصور البؤس ليرتشفوا معا
غبار الأيام ومسامير النعش الذي ينحر
قامتك، اقتربت أكثر وذكرياتك خلف
النجوم تحدق في أعوجاجات سيقان
نساء الحبشة الممتلئة بالدم والشهوة /
الدم / ملح / شهوة / عولمة / الحبشة /
الكونغو / اقليمات / مدن تحاول أن
تنهض من الملح وتلقي بقبع الدم على
الإسفلت، أنت تعرف أن الشرق لم يكون
إلا آلهة للبكاء فقط لأن القهوة مازالت
تبعث بالرائحة الحزينة، تطحنك رحى
الأيام و تذروك في قاع الأماكن وجهك
هائم في البعيد / الحانات والشبابيك دائما
تموت عليها الأمنيات الأرجوانية
وأنت تعلم أن أمنيات أقليمات صارت
شمسا أخرى لاذت بالفرار بين حيل مملة
وشيطان يقبع حتى الساعة في ناقوس الحلم.
لم أقترب / أبتعد تلك الكرة كانت
متوقفة عن الدوران و أهل بابل ما زالوا
يعتقدون أن الأرض محمولة على قرني
شيطان/النحوم في تخوم الشهوة نامت
وحضارتك يا سيدي دقت عنقي ورتلت
أبجاد الأحداد على النعش الأول و أنت
الذي وضعت المسامير الصدئة في جسد
أيامي كي تكف آبار الحبشة و المدينة
ويثرب عن بعث الماء / الحانات لم تكن
مغلقة بل مفتوحة و هي تغني لحنا
لسكرات الموت على ذرى نانا.
أمنياتي لم تكن شمسا أخرى / ظهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشّمس لأنّنا معشر البشريون لم نكن
نرى وجه الشّمس أبدا / خيانة إثر خيانة.
جاءت الأزمنة تدور وعشر الأحياش
متوقّف. من ياترى استلقى على أذرع
الخيانة ليقبل عتباتها السّوداء ويلبس جلد
الخانات / ترتق أحزانك / هناك تعلو
البؤس دائما لك مصير / تعيش على
هامش الحياة. رغيف خبز و كوب ماء
يكفي هذا اليوم.
هاهي الدّموع تسقط عن جدران الخلود
مخلفة ورائها غبار الأيام / قبل أن تولد
الحضارة وقبل أن تضاجع رجلا مجهولا.
تقيّأتني أمّي بين أحضان الكون المتوضّىء
حديثا وغسلت بدموعها غبار
الكون/وكانت آنذاك حرب البسوس
مشتعلة. قلت أمّك ولدتك و لم تتقيّأك
وغسلت بدموعها أحزان الماضي لتتحرر
لك السّعادة و الرائحة نقشها كانت
تنبعث من شقوق الجدران المتصدّعة من
خشية التّعاويذ. يكفي فلا أستطيع أن

نوم عميق وفيزياء الحزن كانت غائرة في
دهاليز اللّذة المرتقبة حتّى الرّكب / الدّحلان
كان ثقيل الوزن، التّعش الأوّل يبحث عن
مستقرّ له. حاول / وجد. نام في جرح
مغلق. كانت هذه البقعة من الأرض تقع
بين تلّ اقليعات و النّمرود وبابل (كانت
هناك في الشرقاط) هذه البقعة ما بين
الأرض تقع بين تلّ اقليعات والنّمرود
وبابل (كانت هناك في الشّرقاط) هذه
البقعة ما بين الأرض والجسد هي ملتقى
الجروح وأنين الصّعاب والآلهات المرتفعة
نحو عتبات السّماء/تشبث بموتك البطيء
فالسّماء ارتحلت والأرض ستعاود
الدّوران حول خيوط الشّمس الذّهبيّة، الّتي
حاكوا لك منها كفنا يضاهي أكفان
بابل وإقليعات / الكونغو/ الحبشة/ بابل
عيلام / سرقسطة / النّمرود / تحاول أن
تشقّ طريقا آخر غير الدّم و الملح، يكفي
أرحوك لكي أستطيع أن ألملم ما
تساقط من جسدي....

أواصل أكثر. لقد كنت كفراشة تغطّ في



بسمة صوفيّة

بقلم : محمّد محسن الجلّيطي

("بل فيه ما فيه، لا فيه، فيه تيه في تيه، آية في آية.". الحلاّج- الطواسين)

دخل النّسر حانة الأطلس قلقا مضطربا... جلس بسرعة وطلب من النّادل، إحضار أدوات مجاهدة الأرواح الشّريرة...الّتي تفسد مقامه و تشوش عليه ممالك الخيال.

-القارورة الأولى، الكأس الأولى...أصعب فصل. صبّ خمرا في الكأس..شربها ثلاثا... وبعد كرّ وفرّ سكبها دفعة واحدة في بطنه. ماء نار يصهد معادن أمعائه الرّاسية كالرّصاص.../ لا بدّ من جهر ضحايا حرب الأمس... أكلّ حبّة فول وسكب الفصل الثّاني متقزّزا...

-همس معلّقا على هيجان أمعائه : نار تأكل نارا... أزاح الرّوح الأوّل، أشدّ الموانع بطشا، ولقبه الأسود لأنّه يسبل عليه ظلاما دامسا يخنقه من الدّاخل كعذاب القبر... فلا يرى و لا يسمع إلاّ الأشباح الزّائفة. الفصل الثّاني، الكأس الثانيّة... الاستعداد إلى الكرّ على الأحمر، وهو روح عنيف مؤلم ينحر كالتّود في مواضع السّمع والبصر والتّطوق... في ثبات الفارس المغوار شرب النّسر الرّوح الأحمر وسكب حمرا في الكأس الثّالثة عدوّه الأحمر، الأصفر، الرّوح الّتي تمتصّ نوازع الفرحة مصّا حتّى يفرغ ظاهر الإنسان وباطنه من كلّ سرور وبهجة فيأول برمته إلى الحزن والكآبة. الكأس الأخيرة، بدأت الحجب السّبع تتساقط الواحد تلو الأخرى لأحسّ بتنفّس جديد يتّحد بذاته مع سقوط كلّ حجاب...تجلّت في مرآة أنفاسه أنوار اليقين : لمّاعة تتلألأ نزلات الوهم...وما هي الّلحظة واحدة حتّى عاوده روحه الصّافي النّقيّ.

...أستدلّت عليه حلل سندسيّة، ربيع بديع شاد. لم تره عين و لم تسمع به أذن من قبل... بدا النّسر كمنشور الجناحين، ملكا يتبختر في سماء الخيال... طليقا يشرب من حمرة مذاقها كافور... و حوله رفاق من

الملإ الأعلى يهللون و يرحبون... مرحى...مرحى كبر وهلل بصوت عملق... ثم انسحب مغمض العينين إلى مملكة الأبواب السبعة.

...و لما تفتحت بصيرته، استقبله الماء ذو النفس الناطقة،زلالا لطيفا :

مولاي دع العطش يغور في صفائي وخريري...

و لتسكب قطرات ندى على خدود الورد - أو غيثا صبوحا على واحة جميلة، تسترنح بين الصبر و العطش.

إلتحم الماء بالملك العائد حتى خفت موازينه، فذاب قطرة قطرة في عين الحياة سراطا موتا يخر بلطائفالعشق...يسبح دون بوح... عطاء، "طاني،" خجول...

- التحق "قان فوق العرب" بحانة الأطلس، اتجه إلى طاولة النسر ليلعب دور العزول الشقي.. الفصل الثاني : قبل الجلوس طلب "دبوزة"، وكأسا صب "قان فوق" العرب، كأسين واحدة له و الثانية للملك التائه. : أشرب يا ملك الضياع! وأشار إلى الكأسين الواحدة تلو الأخرى... هذه مدد التعبير وهذه سلطان التصوير فأختر لك واحدة..

قهقهة قليلا ثم قبل رأسه مشفقا.

أفاق النسر من غيبوبته مكرها ثم قال :

غلام الجن جاء...

مد يده للكأس شرب نصفها..أشعل سجارة... حملق في وجه "قان فوق" الزنجي...

تململ قليلا وكعادته عصر كل يوم أخذت دموعه تنزل بغزارة، بكاء لا مبرر له ولا تصنيف...

همس "قان فوق" : و العصر إن الإنسان لفي خسر.....

ثم شرب كأسه الخامسة دفعة واحدة، طأطأ بعدها رأسه كمن يصل أو يبكي من الداخل.

الساعة السادسة، الفصل الأخير، إشتعلت نار الحضرة...قام الإثنان يرقصان رقصة زربا الإغريقي على أنغام الذاكرة وتصفيق بقية الرفاق.

عرق بارد يتصبب على جبين النسر...ملامح بسمة صوفية جامدة شعت على وجهه ، مثل جمرة في ركن دامس.

لمعان في عيني "قان فوق"، فيض حمري عجيب يتلألأ كعناقيد عنب تغمرها أنوار الشمس، ذات صباح صيفي بعد الغروب انسحب النسر من الحاة بين مترنح ومنشرح تاركا وراءه جثث الأمس

البعيد والقريب...

أمّا الملك منه، فماض في الرّحيل عن مواطن لا يرقى لها أحد سواه.

– تحقّق الذّوق و جاء موعد الشّوق...

جلس الملك على سرير العشّاق الأبيض، ينتظر الوعدة...سمع صوت إنشادها يسقها إليه.../ أحسّ بدوران اللّقاء..

لم يتمالك حين حلّت تفوح منها عطور سحريّة...أغمي عليه و لمّا أفاق... وجد نفسه غلاما يرضع من هذها الحارّ كالشّمس.

ابتسمت له بثغر ألطف من أنوار القمر...

قالت له : آه ..

قال لها : آه ..

فأعاد : آه ..

استرسلا يتغازلان بأه الذّات السّهلة حتّى مطلع الفجر : آه.. آه.. آه.. آه.. آه..

لمّا كان الصّباح، خرج النّسر يسترزق لهن قهوة، تتبعه أرواحه الشرّيرة، تقذفه بأركل النّعوت و تتربّص به..

تمتم : سيعود هذا المساء.

قالت الأرواح الشرّيرة : من العائد ؟

قال بمرارة المنتظر : هو!

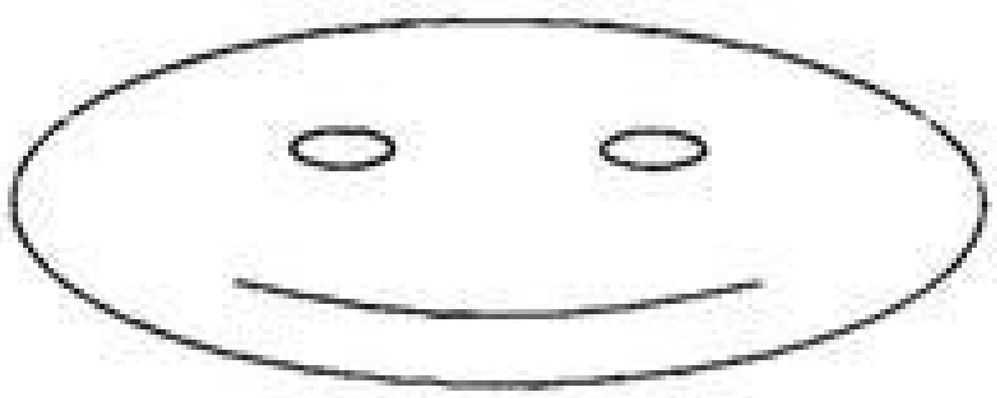
قالت : ومن هو ؟

قال هازئا : ومن سواه..الملك طبعا...

قال أحدهم : ملك متسوّل.

قال النّسر : بل ملك غريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



رسالة سليانة :

لقاءات منتدى الإتحاف

متابعة : البشير الأخضر

منتدى الإتحاف هو منبر آخر للحوار الثقافي فتحته مجلّة الإتحاف بالتعاون مع فرع اتحاد الكتاب التونسيين بسليانة ودار الثقافة ابن أبي الضياف أمام رواد الفكر والمولعين بالثقافة للتلاقي وتبادل الرأي حول جملة من المسائل الثقافيّة ذات العلاقة مبدئيا بسليانة مدينة وقد تتطوّر في مستقبل الأيام إلى سليانة ولاية أو مركزا متوسّطا لسبع ولايات وبوّابة للشمال على الوسط والجنوب.

اللقاء الأوّل جاءت به فكرة. الفكرة ولّدها النبشُ في الماضي. ماضي مدينة سليانة في الستّينات واسهام شبابها آنذاك في إثراء الحياة الأدبية. فكان الحديث عن نشريّة حتبعل وهي نشرية الندوة أراد لها أن تكون إلا العدد الثاني منها وهو الذي كان محور الحوار الذي سيّره السيّدان حسونة المدبوني وحمادي التلاوتي وهما من شبّان الستّينات اللّذين ساهما صحبة ثلّة من زملائهما بين طلبة وتلاميذ في تأثيث أركان هذه النشريّة.

الحوار تناول المجلّة لكنّه أيضا أعاد إلى الأذهان ملامح الحركة الثقافيّة الواضحة الّتي عرفتها مدينة سليانة في تلك الحقبة الزّمنيّة في المجال الأدبي والمسرحي والموسيقي. وتجلّت الرّغبة لدى الحاضرين في دفع الإنتاج الثقافي في المدينة لا سيما وأن الإمكانيات تطوّرت والآفاق اتسعت والتشجيعات توفّرت.

اللّقاء الثّاني لمنتدى الإتحاف تناول بالنقاش الكتاب الّذي أعدّه الأستاذ صديق الفازعي في إطار بحث جامعي حول " دور الترقية الإداريّة في التحضّر والتنمية الإقليميّة بالشّمال الغربي التونسي : مدينة سليانة أنموذجا" هذا اللّقاء سيّره الأستاذ الحفناوي



ARCHIVE

الماجـــري وكـــان منـــاسبة للعودة بالذاكرة إلى ما كانت عليه مدينة ســـليانة في بداية القرن وما شهدته من تطورات خاصة في مجال التوسع العمراني والحركة الاقتصادية.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يكـــن الوقـــت كافيا للخوض في كلّ جوانب هذا الموضوع المتـــــع الأرجـــاء فتقرّر أن يتواصل الحوار في شأنه في حصص أخرى ينظّمها المنتدى ويدعى مؤلّفه لحضـــور إحداهـــا.

منتدى الإتحاف بادرة رعاها السّيد عبد القادر الهاني المدير المؤسّس لمجلّـــة الإتحـــاف ووجدت كلّ الدّعم من السّلط الجهويّة حيث وعد السّيد خليفـــة الجنيـــاني والي ســـليانة بتشجيعها في إطار دعم النّشاط الثّقافي بالجهة